الباب الأول

الأحوال السياسية

في
الإمارة العيونية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
سكان البحرين

من المعروف تاريخياً أن القبائل الربعية: بكر وتغلب وعبد القيس، اتخذت أجزاء كبيرة من هذه المنطقة مواطن استقرار لها قبل الإسلام، خاصة عبد القيس، التي ارتبط اسمها بها كثيراً. أما تغلب، فإنها بعد هزيمتها على يد أختها بكر، أخذت تزحف شمالاً حتى استقرت في الجزيرة الفراتية، وإن بقيت بعض بطونها فيها. وعلى حين تقدمت بكر نحو شمال العراق، ظل أحد بطونها الكبيرة، بنو شيبان، منتشر هنا وهناك.

وإلى جانب هؤلاء جاء الأزد بأعداد كبيرة من عمان كما سنتبين في حرب القرامطة، وربما كان بعضهم موجوداً في المدن قبل ذلك، أما قيس عَيلان التي زاحمت تغلب في الجزيرة الفراتية بعد الإسلام، فإن بعضها وجد مع بداية الحكم العيوني، وعاشوا بعد ذلك في الأحساء.

ونتيجة للامتداد الجغرافي والاتصال الحضاري والثقافي (الديني بالذات)، استقرت في المنطقة جماعات أجنبية فارسية عرفوا بالسبابجة، إلى جانب الجماعات المعروفة بـ «النبط».

يقول ابن مقرب في تحديد سكان هذه المنطقة:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُجَالِسُ فِتْيَةً نَمَاهَا إِلَى الْعَلْيَاءِ قَيْسٌ وَخَالِدُ

وَهَـلْ تَصْحَبَنِّي مِنْ شُرَيْـكٍ عِصَابَـةٌ لَهَـا طَارِفٌ فِي كُـلِّ مَجْدٍ وَتَـالِدُ[1]

ويبدو أن قيس وخالد وشريك، بطون من بطون بني عامر، الذين كان لبني عقيل منهم وجود كبير، خاصة في المنطقة الممتدة من القطيف حتى الشمال الشرقي للجزيرة العربية، وإن كانت بعض بطون عقيل موجود أيضاً في الأحساء وعلى أطراف الصحراء حوالي من الأحساء، وفي المقابل كانت بعض بطون بني عامر التي تعد الأحساء أهم مواطنها، تسكن القطيف أيضاً. ومن هؤلاء بنو الحارث بن عامر الذين كان منهم أحد زعمائهم، وهو أبو قناع، وهو ممن كان يقف إلى جانب العيونيين، يقول ابن مقرب فيه:

يُنْمَى إلى الشُّمِّ الْغَطَارِفِ وَالذُّرَى مِنْ حَارِثٍ وَالسَّادَةِ الْحُكَّامِ
وَلِحَارِثٍ عُرِفَتْ رِئَاسَةُ عَامِرٍ فِي جَاهِلِيَّتِهَا وَفِي الْإِسْلَامِ[2]

وقد تكون قيس: هي قيس عيلان، التي كانت تغير على الأحساء وارتبطوا بالمصاهرة مع مسعود بن محمد بن أبي الحسين أحمد، يقول في ابنه محمد:

وَخَيْرُ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانٍ خُؤُولَتُهُ فَمَنْ بِغَى الْفَخْرَ فَلْيَفْخَر بِمِثْلِهِمُ[3]

وهكذا يقول معدداً تلك القبائل في تفصيل أكثر:

وَمَا زَالَ فِي أَبْنَاءِ مُرَّةَ سَيِّدٌ بِهِ فِي جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ ائْتِمَامُهَا
وَمَنْ ذَا يُسَامِي مُرَّةً وَبِهِ سَمَتْ بَنُو عَامِرٍ عِزًّا وَجَازَ اغْتِشَامُهَا
وَكَمْ سَيِّدٍ فِي مَالِكٍ ذِي نَبَاهَةٍ إِذَا فَقَدَتْهُ الْحَرْبُ طَالَ إِيَامُهَا

---

(١) ديوان ابن المقرب، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م)، ص ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦١. وانظر ص ٣٥٥.

وَمَا مَالِكٌ إِلَّا الْحُمَاةُ وَإِنْ أَبَتْ ... رِجَالٌ فَبِالْآنَافِ مِنْهَا رَغَامُهَا
وَفِي حَارِثٍ وَاللَّيْثِ غُرٌّ غَطَارِفٌ ... يَبِرُّ عَلَى الْخَصْمِ الْأَلَدِّ خِصَامُهَا
وَإِنَّ لَعَمْرِي فِي بَقَايَا مُحَارِبٍ ... سُيُوفُ ضِرَابٍ لَا يُخَافُ انْثِلَامُهَا
وَشَيْبَانُ شَيْبَانُ الْفَخَارِ فَإِنَّهَا ... أُسُودُ شَرًى سُمْرُ الْعَوَالِي إِجَامُهَا
وَمَنْ كَانَ مِنَّا من جَمَاهِيرِ خِنْدِفٍ ... وَقَيْسٍ فَأَتْرَابُ الْوَغَى وَنِدَامُهَا
وَمَا فِي بَنِي قَحْطَانَ إِنْ شُنَّتِ الْوَغَى ... تَوَانٍ وَلَا يَنْبُو لَدَيْنَا حُسَامُهَا[1]

فمُرَّة، كما هو واضح، من بني عامر، وكذلك شريك في قوله: شريكية....

فبنو عامر، هم من القبائل الكبيرة التي تسكن البحرين، فإلى جانب قيس وخالد وشريك الذين ذكرهم سابقاً، هنا بنو مرة، بطن من بني عامر، وبنو مالك، وبنو الحارث، وبنو الليث، وكلها بطون من بني عامر أيضاً. أما محارب التي سنذكرها بعد قليل فهي بطن من عبد القيس. وكما نعلم فإن بكر وتغلب، رحلتا إلى الجزيرة الفراتية وديار بكر بعد حرب البسوس، ولم يبق إلا بعض بطونها، ومن أشهر من بقي في شرقي الجزيرة العربية، بنو شيبان، الذين يقول فيهم أيضاً:

وَإِنْ قَالَ: إِيهاً يَالَ شَيْبَانَ أَرْقَلَتْ ... إِلَى الْمَوْتِ عَدْواً شِيبُهَا وَشَبَابُهَا[2]

ثم هنالك قيس الذين رجحنا أنهم قيس عيلان القبيلة المضرية. وإلى جانب هذه القبائل وجدت جماعات مضرية اقتصر ابن مقرب على نسبتها إلى «خندف»، كما وُجِدت كذلك قبائل قحطانية، لعل منها بعض بطون الأزد التي استقرت سابقاً في هذه المنطقة أو هي قبائل قحطانية غير الأزد.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٦٢ - ٤٦٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣.

أما قوله:

فَمَـا وَلَـدَتْنِي حَـاضِنٌ حَنَفِيَّـةٌ عَبِيدِيَّةٌ تَسْمُو إِلَى الْحَسَبِ الْجَزْلِ[1]

فإنه يعني افتخاره من ناحية أمه التي هي من بني حنيفة من بكر بن وائل، ولذلك كان يفتخر كثيراً بأنه من بكر[2]. وهذا ما يتضمن وجود بني حنيفة في وسط الجزيرة العربية.

وأما نسبه من حيث أبوه، فإشادته بعبد القيس وانتماء العيونيين إليهم، لدليل على أنه عبدي، ولذلك قال:

فَـإِنْ ضَيَّعَتْ حَقِّي لُكَيْزٌ وَأَنْكَـرَتْ بَنُـو عَـامِـرٍ سَعْي لَهَـا وَاجْتِهَـادِيَـا
فَقَـدْ ضَيَّعَتْ قَبْلِي رِبَـابٌ بَنِيَّـهَـا وَمَا كُنْتُ أَدْرِي لابْنِ أَفْصَى مُسَاوِيَا[3]

أما عن عبد القيس الجماعة الأهم في هذه المنطقة، فيقول:

وَأَصْبَحَتْ آلُ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدْ ثَلَجَتْ صُدُورُهَا فَتَـرى الْمَوْتُـورَ مُبْتَسِمَا[4]

ويقول:

أَرِجَـالَ عَبْـدِ الْقَيْسِ كَمْ أَدْعُـوكُمُ فِـي كُـلِّ حِـينٍ لِـلْعُـلَا وَأَوَانِ[5]

ومن عبد القيس بنو محارب الذين مر بنا ذكرهم:

وَإِنْ صَاح دَاعِي حَيِّهَا فِي مُحَـارِبٍ أَتَتْ تَتَلَظَّى لِلْمَنَـايَـا حِـرَابُهَـا[6]

وكما يبدو من صورة الأوضاع التي يعكسها شعر ابن مقرب، فإن

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٢٣. عبيدية: نسبة إلى عبد القيس، وهي عبدية، إلا أنه اضطر للوزن. وهذا يدل على أن أمه ذات نسب مشترك بين عبد القيس وبني حنيفة.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩ المقدمة.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦٢. رباب: أحياء ضبة. ابن أفصى: يعني نفسه، وأفصى هو والد عبد القيس.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٣٧.
(٥) المصدر نفسه، ص ٦٣٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ٤٣.

الجماعات السكانية التي سكنت البحرين، كانت تنقسم إلى قسمين: قسم حضري يتمثل في تلك الجماعات التي امتهنت الزراعة والملاحة وارتبطت بالأرض، وبعضها قد يكون غير عربي، أو عربي اندمج في الحياة الحضرية وأخذ شيئاً فشيئاً يصبح ذا علاقة بالاستقرار والاستيطان، وتخلى كلية عن حياة البادية، وقسم بدوي، ينقسم بدوره إلى قسمين: القسم الأول له علاقة بالحياة البدوية إلا أنه وثيق الصلة جداً بالحياة الحضرية، يعيش في المدن ويتخذ الإقطاعات ويمارس التجارة. والقسم الآخر بدوي في حياته وفي سلوكه، مسكنه الصحراء أو على أطراف المدن والقرى، يعتمد على الرعي وتربية الإبل.

وتمثل قبيلة عبد القيس هذه الاتجاهات جميعها. ولهذا فليس من المستغرب أن يقول :

صَدَّقْتُمُ فِي عِيصِكُمْ نَفْعاً لَكُمْ ... مَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ عَدْنَانِ
نَسَبُوكُمُ فَعَزَوْا بُيُوتاً مِنْكُمُ ... مَشْهُورَةً لِسَوَادِ خُوزَسْتَانِ
نَقَلَت ـ أَوَائِلُهُمْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ كَيْ ... يَبْنُوا مُشَقَّرِهَا ـ أَنُو شُرْوَانِ
قَدْ كُنْتُ أُكْذِبُ ذَاكُمُ وَأَظُنُّهُ ... مِنْ دَاعِيَاتِ الْبُغْضِ وَالشَّنَآنِ
وَالْيَوْمَ صِرْتُ أَشُكُّ فِيهِ وَرُبَّمَا ... كَانَ الصَّحِيحَ، وَمُنْزِلَ الْفُرْقَانِ[1]

فعلى الرغم من أن هذا القول صدر منه وهو غاضب على عبد القيس قومه، فإنه يشير إلى ما كان يتردد في الأوساط الشعبية من أن هناك مَن ينتسب إلى عبد القيس، وهم بيوتات مشهورة فيهم، وليست من عبد القيس أصلاً، وإنما انتموا إليها انتماءَ ولاءٍ ونسب، حتى عُدُّوا منها، أما أصلهم الحقيقي، فهم من أطراف الساحل الغربي لبلاد فارس المعروف قديماً بخوزستان. ويفيد قَسَم ابن مقرب بإمكان صحة ذلك: «وربما كان الصحيح ومنزل الفرقان»، وأن هذا التداخل أمر يمكن وقوعه، إذ إن

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٣٥.

الوافدين كانوا يضطرون إلى الالتصاق والاحتماء بالقبيلة ذات النفوذ في المنطقة حتى يصبحوا بمرور الزمن جزءًا منها، وإن ظل العرف القبلي محتفظاً بذكرياته القديمة عن أصولها، خاصة أن هؤلاء يظلون متميزين بما يمارسونه من أعمال ينظر إليها البدوي نظرة استعلاء وعدم تقدير، مع ملاحظة أن جماعات قبلية ممن ابتدأوا ينخرطون في الحياة الحضرية. أو ممن دفعتهم ظروف الحياة إلى مزاولة تلك المهن، يتكيفون من الأوضاع الجديدة، وربما أقاموا علاقات زواج بأولئك، وهكذا تتسع الدائرة ليصبح مفهوم القبيلة أشمل من تلك الحدود الضيقة المحصورة في سلسلة النسب المعروفة.

أما القسمان الآخران، فيمثلهما العيونيون الذين تهيأ لهم أن يقيموا إمارة في بلاد البحرين بعد قضائهم على القرامطة، فالعيونيون كانوا قبل استيطانهم العيون بدواً، ثم راحوا تدريجياً يتقدمون إلى حياة المدن، فأقاموا أولاً في العيون، وكان منهم تُجَّار ذوي ثروة طائلة استطاعت تموين قوة عسكرية استدعت مبالغ كبيرة[1]؛ فالأمير أبو يوسف علي بن يوسف بن عبد الله بن علي العيوني، مثلاً، أَمَدَّ جَدّه بأموال كثيرة، فكان يحمل إليه الذهب في رقاب الإبل. ثم أخذوا يندمجون في الحياة الحضرية، وانتقلوا من أطراف الصحراء إلى سكنى الريف، بل آثروا الحياة الحضرية على الحياة البدوية، مثلما نرى في استقرارهم في القطيف والأحساء، ومع ذلك، كان بعضهم ما زال يؤثر حياة الصحراء.

ومهما يكن، فعبد القيس تعد من أشهر الجماعات القبلية في منطقة البحرين، وأقدمها استقراراً فيها، وإن زال نفوذها السياسي بعد أن مرت

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٥ ذلك هو الأمير أبو يوسف علي بن يوسف بن عبد الله بن علي العيوني، الذي أمد جدَّه عبد الله بأموال كثيرة، فكان يحمل الذهب إليه في رقاب (جمع رقبة) من جلود الإبل، وذلك خشية أن يضعف عبد الله في حربه ضد القرامطة.

بحقبة من الاضطهاد والقمع على أيدي القرامطة، لولا استلام العيونيين الحكم في البحرين. ولعل عدم الاستقرار في حكم العيونيين كما نرى، راجع إلى ضعف العصبية القبلية عند عبد القيس، ولذلك وجدنا بني عقيل وبني عامر هم الذين كانوا في الواجهة دائماً. ومن هنا قال:

إيــهٍ بَقَــايَــا عَبْــدِ قَـيْسٍ إنَّــهُ لَا خَيْرَ فِي مَاضٍ بِكَفٍّ جَبَانِ[1]

فالذين يمكن أن يعتمد عليهم هم بقايا من عبد القيس، وهم يتفاخرون بالماضي، ولكنهم في الواقع ليسوا على استعداد للصراع من أجل المحافظة عليه: «ماضٍ بِكَفٍّ جَبَانِ»، كما كَنَّى عن ذلك. أما أغلب هذه القبيلة، فقد انخرط في الحياة العامة، ومارس الحرف، خاصة الزراعة حتى قال في رجالهم:

يَعُـدُّ إنْ قَالَ صِـدْقاً مِنْ مَفَـاخِرِهِ كَـرًّا وَمَـرًّا ومِسْحَـاةً وَفَـدَّانَـا[2]

نسب العيونيين:

ينتمي العيونيون إلى المجموعة القبلية المعروفة عند النسابين، بالقبائل الربعية، أي إلى ربيعة بن معد، التي كانت في حدود منتصف القرن الرابع الميلادي في صراع دموي مع حمير، وذلك في معارك مشهورة أهمها معركتا السلان وخزازى، حيث قتل أحد ملوكها المعروف بـ «صهبان»، يقول:

فَقَـوْمِي الْأُولَى أَجْلَوا قُضَاعَـةَ عَنْوَةً وَدَانَتْ لَهُمْ كَلْبٌ وَنَهْـدٌ وَخَـوْلَانُ
وَهُمْ فَلَّقُـوا هَـامَ التَّبَـابِـعِ إذْ طَغَتْ يُقِـرُّ بِـهِ وَادِي خَـزَازَى وَسُـلَّانُ
غَـدَاةَ تَـوَلَّتْ حِمْيَـرٌ فِي جُمُـوعِهَـا وَذَاقَ الرَّدَى فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ صُهْبَانُ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠٣، الكر: الحبل الذي يرقى به النخل. المر: الحبل. الفدان: الثوران يقرنان للحرث والزرع.

ثم يقول عن ماضيهم الحربي ضد المناذرة والفرس وانتقال بعضهم إلى بلاد البحرين:

وَعَـاذَتْ بِهِمْ مِنْ دَهْرِهِمْ آلُ مُنْـذِرٍ فَصَـانَهُمُ حَـامِي الْحَقِيقَـةِ صَـوَّانُ
وَلَمْ يَحْمِ كِسْرَى مِنْ حُدُودِ سُيُوفِهِمْ لُيُـوثٌ لَهَـا بِـالْجَـوِّ زَأْرٌ وَزُورَانُ
وَهُمْ مَلَكُـوا أَكْنَافَ نَجْـدٍ وَطَأْطَـأَتْ لِعِـزَّتِهِمْ بِـالشَّـامِ عَمْـرٌو وَغَسَّـانُ
وَسَارَتْ إِلَى الْبَحْرَيْنِ مِنْهُمْ عِصَـابَةٌ مَصَـالِيتُ غَـارَاتٍ مَغَـاوِيرُ عرَّانُ[1]

ويقول في ربيعة أيضاً:

بِهَـا كُـلُّ قَـرْمٍ مِنْ رَبِيعَـةَ يَنْتَمِي إِلَى ذُرْوَةٍ تَعْلُو الرَّوَاسِي هِضَابُهَا[2]

ويقول:

أَلاَ يَـا لقَـوْمِي مِنْ رَبِيعَـةَ فَتْكَـةً تُغَادِرُ نَوْكَى الْقَوْمِ صُفْراً وِطَابُهَا[3]

ويقول:

قَـوْمِي سَـرَاةُ رَبِيعَـةٍ وَمُلُوكِهَـا وَإِذَا نُسِبْتُ وُجِدْتُ مِنْ سَرَوَاتِهَا[4]

ثم هم ينتسبون إلى عبد القيس بن ربيعة هذا، يقول:

لَعَـايَنَ دُونِي عُصْبَـةً عَبْـدَلِيَّـةً تُسَـامَى فُرَادَى لِلْعُـلَا ومَقَانِبَـا[5]

وبعد ذلك، إلى لكيز بن عبد القيس:

بِهِ افْتَخَرَتْ هِنْبٌ وَطَالَتْ بِمَجْدِهِ لُكَيْزٌ وَعَزَّتْ عَبْدُ قَيْسٍ وَوَائِلُ[6]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٨٨ ـ ٥٩٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦. نوكى: حمقى. صفر وطابه: مات.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٧. عبدلي: نسبة إلى عبد القيس. المقانب: جمع مقنب، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٢.

وكما نلاحظ، فقد أشار إلى وائل بن ربيعة الذي تنتمي إليه القبائل الربعية. أما البطن الذي ينتسب إليه العيونيون خاصة، فهو آل إبراهيم من عبد القيس، يقول:

لأَخْبَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ رَبِيعَةً ... رَحًى آلُ إِبْرَاهِيمَ فِي سِرِّهَا القُطْبُ[1]

ويقول:

وَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ كُلُّ مُذَبِّبٍ ... عَنِ الْمَجْدِ يَحْتَلُّ الذُّرَى وَالْغَوَارِبَا[2]

وكان العيونيون في زمن إبراهيم، أهل بادية بعيدين عن إقليم البحرين، يسكنون صحراء نجد يقول:

طَعْناً بِهِ كَانَ إِبْرَاهِيمُ وَالِدُنَا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ الْبَحْرَيْنَ يُوصِينَا[3]

ويذكر تنقلهم هناك وانتقالهم إلى البحرين:

كَانُوا جِبَالاً لِنَجْدٍ تَسْتَقِرُّ بِهَا ... عَنِ الزَّلَازِلِ إِنْ مَاجَتْ وَأَرْكَانَا
حَتَّى إِذَا ارْتَحَلُوا عَنْ جَوِّهَا اضْطَرَبَتْ ... وَبُدِّلَتْ مِنْهُمُ خَسْفاً وَخِذْلَانَا
وَأَصْبَحَتْ بِقُرَى الْبَحْرَيْنِ خَيْلُهُمُ ... تَجُرُّ لِلْعِزِّ أَشْطَاناً وَأَرْسَانَا[4]

أما قول ابن مقرب:

لُكَيْزِيَّةٌ أَنْسَابُهَا عَامِرِيَّةٌ ... يَلُوذُ الْمُنَاوِي ضَيْمُهَا وَاعْتِصَابُهَا
إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي بِهَا يَالَ عَامِرٍ ... أَتَتْ مِثْلَ أُسْدِ الْغَابِ غُلْبٌ رِقَابُهَا
مُقَدَّمُهَا مِنْ صُلْبِ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ ... إِلَى الْمَوْتِ فِتْيَانٌ شَدِيدٌ غِلَابُهَا
مِنَ الْحَارِثِيِّينَ الْأُولَى فِي أَكُفِّهِمْ ... بِحَارُ النَّدَى مَسْجُورَةً لَا تِغَابُهَا

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦١٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٠٩.

وَمِنْ مَـالكٍ بِنْتِ الْفَخَـارِ بْنِ عَامِـرٍ فَـوَارِسُ أَرْوَاحُ الْأَعَـادِي نِهَـابُهَـا
وَكُـلُّ هُـمَـامٍ دَيْسَـمِـيٍّ إِذَا سَـطَا عَلَى الْخَيْلِ يَوْماً قِيلَ وَافَى عَـذَابُهَا
وَمِـنْ نَـسْـلِ عَـبْـدٍ أَيَّ فِتْـيَـةٍ يُجِـلُّ الْمُعَـادِي بَـأْسَهَـا فَيَهَـابُهَـا
وَإِنْ صَاحَ دَاعِي حَيِّهَا فِي مُحَـارِبٍ أَتَـتَ تَتَـلَظَّى لِلْمَـنَـايَـا حِـرَابُهَـا
وَإِنْ قَـالَ إِيهـاً يَـالَ شَيْبَـانَ أَرْقَلَتْ إِلَى الْمَوْتِ عَدْواً شِيبُهَا وَشَبَابُهَـا[1]

فإنه قول يتوجه إلى استنهاض الجماعات القبلية التي تسكن الأحساء بالذات، وعلى وجه الخصوص قبيلة بني عامر ذات النفوذ القوي في هذا الجزء من منطقة البحرين، وذلك لمواجهة التدهور والانهيار اللذين أصبحا يهددان هذه الإمارة.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٢ ـ ٤٣، أما ذكره لمرة في شعره، فإنه يدور حول هذا المعنى من استنهاض البطون الموالية لهم من بني عامر، والذين ينتسبون إلى مرة، ولذلك يقول:

وَمَنْ ذَا يُسَـامِي مُـرَةً وَبِـهِ سَمَتْ بَـنُـو عَـامِرٍ عِـزّاً وَجَـازَ اعْتِشَـامُهَـا

المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

الثغاب: جمع ثِغْب، وهو أكثر ما بقي من الماء في بطن الوادي.

obeikandl.com

الفصل الثاني
حدود الإمارة العيونية

- **الحدود الداخلية:**

إن حدود إقليم الإمارة العيونية الحقيقية والطبيعية، هي منطقة البحرين التي تمتد أصلاً من كاظمة شمال شرقي الجزيرة العربية (الكويت حالياً)، إلى بلاد العَروض التي تشتمل على الأطراف الصحراوية المحاذية لقطر. وإن كانت مراكزها الرئيسة هي: هجر (الأحساء) وجزيرة أوال والقطيف. لأن هذه المناطق مناطق شبه استقرار، لاعتمادها على الزراعة ولتوافر المياه الجوفية فيها. وفي شعر ابن مقرب توضيح لتلك الحدود الداخلية، مثل قوله ذاكراً رحيله على ناقته:

وَخَطَّهَا الْخَطَّ إِرْقَالاً وَأَوْلِ قِلًى أَوَالَ لَا نَادِماً وَأَهْجُرْ قُرَى هَجَرِ[1]

فهنا تركيز على الخط الذي يشتمل على القطيف حتى حدود العقير الحالية، وأوال (الجزيرة التي اختصت في العصر الحديث باسم البحرين)، وهجر. ولذلك نجد هذين الحدَّين الخط والأحساء، هما اللذان يبرزان على مساحة الخارطة السياسية في شعره، فيقول:

لَا تُكْثِرِي مِنْ مَقَالَاتٍ تَزِيدُ ضَنًى مَا الْخَطُّ أُمِّي وَلَا وَادِي الْحَسَاءِ أَبِي[2]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٤٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤.

- الحدود الخارجية:

وإذا افترضنا أن تلك كانت حدود الدولة العيونية الطبيعية من الناحية الجغرافية والبشرية والعرقية إلى حد كبير، حيث كانت هذه الأراضي هي منازل ربيعة أولاً، التي منها بكر وتغلب وعبد القيس، وثانياً هي منازل عبد القيس، خاصة في الجاهلية والإسلام، والعيونيون بطن من بطون عبد القيس، فإن الافتراض يذهب إلى أن هذه الحدود هي حدود الدولة في فترات ضعفها، أو في فترات انكماش قوتها، أو في فترات قوتها ومجدها، وإنه من الطبيعي أيضاً أن تتوسع في المناطق المجاورة لها، أو تمتد إلى أبعد من ذلك.

ومن الطبيعي أن يكون التوسع غالباً متوجهاً شمالاً أو جنوباً، أو إلى أعماق وسط الجزيرة العربية، ففي عهد الأمير الفضل بن عبد الله بن علي، وهو ابن المؤسس الأول للدولة العيونية، توطدت أقدام العيونيين في الصحراء المواجهة للساحل الشرقي للجزيرة العربية، يقول عن تلك السيطرة:

وَلَمْ يَرْعَ مِنْ ثَاجٍ إِلَى الرَّمْلِ مُصْرِمٌ عَلَى عَهْدِهِ إِلَّا اسْتُبِيحَتْ حَلَائِبُهُ(١)

ويقول:

مِنَّا الَّذِي حَازَ مِنْ ثَاجٍ إِلَى قَطَرٍ وَصَيَّرَ الرَّمَلَ مِنْ مَالِ الْعَدُوِّ حِمَى(٢)

كما يقول مؤكداً السيطرة التامة على تلك الأراضي التي أصبحت بعض حماه:

لَيَالِيَ يَحْمِي الْجَابِرِيَّةَ مِنْهُمُ إِلَى الرَّمْلِ مِطْعَامُ الْعَشِيَّاتِ مِطْعَانُ(٣)

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٧. مصرم: صاحب صرمة من الإبل، أي مجموعة منها.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤١، الرمل: الرمال الصحراوية في طريق عُمَان من الأحساء، وهي الأطراف الشمالية الشرقية للربع الخالي.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩١.

وفي عهد الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي، بلغت سيطرة العيونيين حدودها الطبيعية أيضاً، أي إن امتدادها كان في مجال صحراوي ملائم لموقع الدولة العيونية، ومتناسب مع تكوينها القبلي البدوي، إذ امتدت من نزوى حتى حلب، يقول فيه:

وَأَحْمَدُ إِبْنَهُ الْمَلْكُ الَّذِي مَنَعَتْ مَا بَيْنَ نَزْوَى سَرَايَاهُ إِلَى حَلَبِ[1]

ومن المؤكد أن هذين الإقليمين لم يخضعا خضوعاً مباشراً للعيونيين، وإن كان المرجح أن تكون هناك علاقة تراضٍ بين حكام نزوى والحكام العيونيين حتى قال:

وَأَتَتْ إِلَيْهِ بِالْخَرَاجِ مُطِيعَةً خَوْفاً مِنَ الْغَارَاتِ أَهْلُ عُمَانِ[2]

ويوضح ابن مقرب هذه الحدود الخارجية التي تشغل ذلك المجال الصحراوي في عهده فيقول:

حَمَى الْبَرَّ مِنْ حَدِّ الْعِرَاقِ فَحَازَهُ إِلَى الشَّامِ وَاسْتَوْلَى عَلَى حَدِّ نَاعِبِ[3]

وتشمل هذه الحدود، الحدود التي اشتمل عليها ملكه، أي تلك الحدود الصحراوية، يقول:

وَإِنْ سَلِمَتْ نَفْسُ الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ شَكَتْ مِنْ سَرَايَاهُ عُمَانُ وَعَمَّانُ
وَسَارَتْ إِلَى أَرْضِ الشَّآمِ جُيُوشُهُ وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْهَا زَبِيدٌ وَنَجْرَانُ[4]

أما في عهد الفضل ابنه، حيث التقارب والتفاهم بينه وبين الخليفة

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٧٩. أحمد هو محمد بن أبي الحسين أحمد، وقطع همزة (ابن) للضرورة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥١. بنو ناعب: حي من العرب.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٩١.

العباسي الناصر، فإن حدود الدولة العيونية اتسعت اتساعاً اسمياً نحو الشمال الشرقي داخل الأطراف الشرقية لبلاد فارس، وذلك بتخويل من الخليفة نفسه، يقول:

وَقَضَى إِلَيْهِ أَنَّ حُكْمَكَ نَافِذٌ مَاضٍ بِأَكْنَافِ الْعِرَاقِ وَتُسْتَرِ[1]

وكان الهدف السياسي من وراء ذلك، هو القضاء على حركات التمرد والعصيان التي تقوم بها القبائل البدوية في جنوب العراق، وهذا واضح من قوله:

فَاضْمُمْ إِلَيْكَ الْجَيْشَ وَانْهَضْ وَافْتَتِحْ مَا شِئْتَ مِنْ بَلَدٍ وَجِدَّ وَشَمِّرِ[2]

الحكام المجاورون:

إذا كانت حدود الدولة العيونية شمالاً، هي بلاد العراق، أي الخلافة العباسية التي يتبعونها.، وفي شعر ابن مقرب عدة قصائد يمدح بها الخلفاء العباسيين وأعيان الدولة العباسية، ففي شعره تعيين بعض الحكام الذين كانوا يحيطون بهم في اتصال مباشر أو غير مباشر، فهو يقول:

وَجَازَتْ قُرَى الْبَحْرَيْنِ عِيسِي وَأَصْبَحَتْ عُمَانِيَّةً وَاسْتَبْهَلَتْهَا سَوَاحِلُهْ
وَصَبَّحَ فِي الْحَيِّ الْيَمَانِيِّ رَحْلُهَا وَحَفَّتْ بِهِ أَقْيَالُهُ وَمَقَاوِلُهْ
أَوِ اسْتَقْبَلَتْ أَرْضَ الْحِجَازِ فَيَمَّمَتْ بَنِي حَسَنٍ وَالْفَضْلُ بَادٍ شَوَاكِلُهْ
أَوِ انْتَجَعَتْ آلَ الْمُهَنَّا فَفِيهِمُ حِمًى آمِنٌ لَا يَرْهَبُ الدَّهْرَ نَازِلُهْ
أَوِ اعْتَامَتِ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَحَلَّهُمْ ذُرَى كُلِّ مَجْدٍ جَعْفَرٌ وَفَوَاضِلُهْ[3]

ففي عمان ـ ويقصد فيما يبدو الأقاليم الداخلية، لأن نزوى في

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ص. ص ٣٣٢ـ ٣٣٣. اعتامت: قصدت. استبهلتهم: تركتهم باهلين، أي نزلوا، فلا يصل إليهم سلطان، ففعلوا ما شاؤوا.

متناول الحكام العيونيين ـ حكام مستقلون، وفي اليمن حكام مستقلون يفصلهم عن العيونيين نجد والربع الخالي، وفي الحجاز الأشراف حكام الحجاز في مكة والمدينة، وفي الشام حكام عرب الشام من بني ربيعة.

أما في خيبر، فبنو جعفر الطيار، يقول:

لِلَّهِ قَوْمٌ مِنْ ذُؤَابَةَ جَعْفَرٍ لَمْ يُغْمِضُوا جَفْناً عَلَى الْأَقْذَاءِ[1]

ولعل في هذه الخارطة السياسية للجزيرة العربية لحكام المنطقة في أواخر القرن السادس، وأوائل القرن السابع الهجريين، ما يسلط أضواء على مبلغ ما كانت الدولة العيونية تضطلع به في محاولةٍ لإخضاع المناطق المجاورة لها، وفي الأخطار المتوقع أن تستقبلها من تلك المناطق ذات الطبيعة القبلية البدوية. ومن المؤكد أن سطوة العيونيين كانت قوية في إبان قوتها وعزها، ولهذا رأينا كيف ترك تلك المساحة الصحراوية الشاسعة دون أي منافس قوي يقف أمامهم، حتى جعل سيطرتهم تتعدى ما هو ممكن التوسع فيه، فقال:

أَطَاعَتْ لَهُمْ مَا بَيْنَ مِصْرَ إِلَى الْقَنَا إِلَى حَيْثُ تَلْقَى دَارَهَا الشِّحْرُ وَالنُّقْبُ
وَجَّاشَتْ نُفُوسُ الرُّومِ حَتَّى مُلُوكُهَا إِذَا ذَكَرَتْ أَمْلَاكَهُمْ هَزَّهَا الرُّعْبُ[2]

وإذا كان ذلك في فترات الغلبة والانتصار، فإن المتوقع أن يكون ذلك الانتشار في المناطق الصحراوية المحاذية لتلك الأقاليم، وإن كان من المتوقع أيضاً أن يكون إقليم نجد من الأقاليم التي يسهل عليهم الوصول إليها.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٧. وانظر ديوان ابن المقرب (بمبي) ص. ص ١٣ ـ ١٤.
آل المهنا: هم بنو الحسين ملوك المدينة. بنو ربيعة: هم الأمراء رهط عبيد بن حاذم، ويزيد بن السميط، وسعيد بن فضل ومانع بن حذيفة، أمراء عرب الشام.
ديوان ابن مقرب (بمبي) ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٢٩ ـ ٣٠. القنا: موضع باليمن. النقب: بلد باليمامة.

العلاقة بالدولة العباسية:

على الرغم من أن إقليم الساحل الشرقي للجزيرة العربية يشكل ظهيراً جغرافياً للدولة العباسية في بغداد، ومنطقة إستراتيجية عسكرية في مواجهة الساحل الإيراني، ومورداً اقتصادياً جيداً، وعلى الرغم من الروابط الاجتماعية التي تربط البصرة بهذا الإقليم، فإن طبيعة التكوين القبلي فيه، والطبيعة الجغرافية شبه الصحراوية، جعلت من خضوعه تلقائياً إلى بغداد أمراً عسيراً. وإضافة إلى ذلك، فإن الدولة العباسية نفسها كانت منشغلة في أوضاعها الداخلية حتى عن حدودها الطبيعية في المناطق التي تحكمها العشائر القبلية. ولذلك كان خضوع الأطراف العربية الصحراوية لبغداد خضوعاً اسمياً. ومن المؤكد أن السلطة في بغداد كانت على استعداد لقبول أيِّ حاكم قَبَلي محلي يستطيع الحيلولة دون توغل البدو في هذا الإقليم والعبث به وبمقدراته. وقد وَضُح ذلك في وقوف العباسيين إلى جانب عبد الله بن علي في القضاء على القرامطة، فكان أن أرسلوا له مساعدة عسكرية تمثلت في الفرقة التي قادها البَقُوش. ومن هنا كانت موافقة الخليفة العباسي الناصر لدين الله أبي العباس أحمد، على تولي الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد سدة الحكم، بعد أن أثبت قوته في صد هجمات البدو وتأديبهم.

يقول ابن مقرب:

وَمَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِوُدِّهِ إِلَيْهِ وَسَمَّاهُ زَعِيمَ الْأَعَارِبِ[1]

وفي قوله: «مال أمير المؤمنين»، تعبير دقيق جداً عن طريقة تعيين الخلفاء العباسيين، الحكامَ الذين فَرَضوا أنفسهم، فميله كان نتيجة لمواقفه البطولية وشخصيته المهيبة. أما تسميته بـ«زعيم الأعارب»، فهو وصف

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥١.

الحال التي كان عليها العيونيون، فما هم إلا أعراب وحكام لأعراب وفي مجتمع أعرابي.

وهكذا توطدت العلاقة بين الاثنين، فوقف الخليفة إلى جانبه في حربه ضد دهمش وأصحابه، بعد أن طلب منه العون والمدد، فاستجاب له، وأمده بالمال والعتاد، لأنه كان في حاجة إلى ذلك، ولم يكن في حاجة إلى مساعدة عسكرية، يقول في تلك العلاقة:

مُنُّوا بِأَرْوَعَ تَتْلُوهُ خَضَارِمَةٌ ... أَمَاجِدٌ مَارَسُوا الْهَيْجَا وَمَا احْتَلَمُوا
مُسْتَرْعِفٌ بِلِوَاءِ النَّصْرِ يَحْمِلُهُ ... نَهْدُ الْمَرَاكِلِ مَمْسُودُ الْقَرَى زَهِمُ
مِمَّا حَبَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ... لَمَّا أَتَتْهُ بِهِ الْوَخَّادَةُ الرُّسُمُ
مُسْتَعْصِماً وَاثِقاً بِالنَّصْرِ مِنْهُ وَهَلْ ... يَخِيبُ مَنْ بِالْإِمَامِ الْبَرِّ يَعْتَصِمُ
أَجَابَهُ حِينَ نَادَاهُ وَقَرَّبَهُ ... أَشَمُّ فِي رَاحَتَيْهِ لِلنَّدَى دِيَمُ

ثم يقول:

فَلَوْ يَشَاءُ لَزَجَّاهَا مُلَمْلَمَةً ... لَا مَعْقِلٌ عَاصِمٌ مِنْهَا وَلَا أُطُمُ
تَحْوِي مِنَ التُّرْكِ وَالْأَعْرابِ كُلَّ فَتًى ... كَأَنَّهُ أَجْدَلٌ مُسْتَلْحِمٌ قَطِمُ[1]

وطبيعي بعد ذلك أن تستمر علاقة الخليفة الناصر بعد اغتيال محمد بابنه الفضل للقرب الجغرافي وللصلات الشخصية بين الاثنين، يقول عنه:

رَضِيَ الْخَلِيفَةُ مَدْيَهُ وَاخْتَارَهُ ... وَحَبَاهُ بِالْحَظِّ الْجَزِيلِ الْأَوْفَرِ

---

(١) ديوان ابن مقرب، ص. ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ منوا: مني فلان بالشيء، أصيب به. الخضارمة: السادة. المراكل: جمع مركل، وهو مكان الركل من الدابة. الممسود: المجدول الخلق، المحكم الفتل. القرا: الظهر. الزهم: الكثير الشحم السمين. الوخد والرسم: نوعان من السير. الململم: المجتمع المدور المضموم. الأطم: الحصن. الأجدل: الصقر. المستلحم: آكل اللحم الكثير. القطم: المشتهي للحم.

لَبَّاهُ جَهْراً وَاصْطَفَاهُ لَهُ فَتًى مِنْ بَيْنِ أَبْنَاءِ النَّبِيتِ وَقَيْذَرِ
وَأَمَدَّهُ بِخَزَائِنٍ لَوْ صَبَّحَتْ ذَاتَ الْعِمَادِ لأَذْنَتْ بِتَدَعْثُرِ
فِيهَا الْمَجَانِيقُ الْعِظَامُ يَحُفُّهَا نَفْظٌ تَأَجَّجُ نَارُهُ بِتَسَعُّرِ[1]

وكان ذلك في بداية حكمه سنة ٦٠٦ هـ، وذلك بسفارة ابن مقرب نفسه[2]، ولا بدّ أن الخلافة العباسية كانت ترغب في استمرار الاستقرار في البحرين.

ثم لم نعد نسمع أي شيء عن استمرار العلاقة بعد ذلك، فقد توالت رحلات ابن مقرب إلى بغداد، شاكياً من تدهور الأوضاع بين قومه وتناحرهم على السلطة. مما أيأس الخلافة العباسية من ظهور شخصية تسد الفراغ الذي خلفه موت محمد بن أبي الحسين أحمد.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩٤.

obeikandl.com

الفصل الثالث
صراع العيونيين للوصول إلى السلطة

القرامطـة:

لسنا بصدد استعراض الحركة القرمطية أو مناقشتها، فلذلك دراسات أخرى قامت حولها، وتناولتها، وإنما يهمنا هنـا علاقـة القرامـطة بالإمـارة العيونية حسبما ينعكس هذا الموقف في شعر ابن مقرب، موضوع الدراسة، إذ على يد المؤسس الأول لهذه الإمارة زال القرامطة من شرقي الجـزيرة العربية.

١ ـ التكوينات الاجتماعية للقرامطة:

أشيع كثيراً أن القرامطة عرب، وأن معظمهم يتكون من قبائل عربية، ومن هنا قال الأزهري سنة ٣١٢ هـ:

«وكنت امتُحِنْتُ بالإسار سنة عارَضَتِ القرامطةُ الحاجَّ بالهَبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا عامتهم من هوازن، واختلط لهم أصرام من تميم وأسد»[1].

ويعد ديوان ابن مقرب وثيقة تاريخية مهمة عن أصل تلك الجماعة وملابساتها الثانوية، فالقرامطة، كما يصفهم الديوان، جماعتان.

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، جـ ١، ص ٧.

١ ـ الفــرس:

ولا بدّ أن نعود قليلاً إلى الجماعات البشرية التي تسكن هذه الجزء من الجزيرة العربية.

فالمنطقة أيضاً، موطن لجماعات بشرية عرقية غير عربية بعضها مستقر، وبعضها وافد، ولا بدّ أن هناك روابط اجتماعية مستمرة بين الساحل الشرقي للجزيرة العربية والساحل الغربي لبلاد فارس حتى بلاد الهند. وعلى هذا النحو من التواشج السكاني، نجد ابن مقرب يخاطب أبناء عمومته العونيين، فيقول:

ضَرَبْتُمْ بِهَا قِدْماً عِدَاكُمْ وَصُنْتُمُ بِهَا الْمُلْكَ وَاقْتَدتُمْ بِهَا مَنْ تَجَهْضَمَا

ويقول:

ضَرَبْنَا بَنِي بَهْرَامَ عَنْهُ فَأَذْعَنُوا وَكَانُوا لِبَاعِ الْعِزِّ كَفًّا وَمِعْصَمَا[1]

وبنو بهرام نسبة إلى أبي سعيد الحسن بن بهرام بن بهرشت وكان ضامناً للضرائب (المكوس). وهي مهنة مرتبطة بالتجارة وطالما مارسها الأعاجم من السبابجة.

بل أخذ ابن مقرب يعدد أجناساً خاصة ممن له اتصال بالبحرين، فمن أولئك الأعاجم كيش (قيس). ومكران في جنوب إيران، يقول:

لَوْلاَ نُزُولِهُمُ فِي جَوِّهَا لَرَأَتْ رَبِيعَةُ هَرَباً كَيْشاً وَمَكْرَانَا[2]

وإذن، تتكوّن لدينا مجموعة من السكان تتمثل في الأجانب ذوي العلاقة المستمرة على ضفاف الخليج، كما تتمثل في الجماعات العرقية التي استقرت في المنطقة ممن يمكن أن نطلق عليهم نبط الخليج، أسوة

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩، تجهضم: تغطرس وتكبر.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠٩.

بنبط العراق، جاء في اللسان «أهل البحرين نبط استعربوا»[1].

٢ ـ الأزد:

من الغريب أن يكون أنصار القرامطة في البحرين من اليمن (الأزد) إذ إن القبائل المستقرة فيها هم في الغالب من ربيعة يقول:

وَمِلْنَا عَلَى الأَزْدِ بْنِ غَوْثٍ فَأَصْبَحَتْ تُصَارِعُ مَوْجاً يَرجُفُ الْيَمَّ أَعْجَمَا[2]

وعلى الرغم من أنه ربما يفهم من قوله: «تصارع موجاً يرجف اليم أعجماً»، أنه استعارة للحرب الطحون التي ذاقها الأزد، فإن هذه الإستعارة تعني أيضاً أن هؤلاء اليمانية من عمان التي كثيراً ما ارتبط اسمها بالأزد. ويؤيد ذلك قوله:

فَعَنْ هَجَرٍ ذَادُوا الْقَرَامِطَ عَنْوَةً وَقَدْ شَرِكَتْ فِيهَا عَتِيكٌ وَحُدَّانُ[3]

فالأحساء (هجر) قريبة من عمان، ولذلك كان بالإمكان الانتقال إليها براً، وهم ملاحون أيضاً، فتهيأ لهم طريقان البر والبحر، أما عتيك وحدان، فهما قبيلتان من الأزد، وإلى عتيك ينتسب المهلب بن أبي صفرة، الذي جاء آباؤه من عمان[4].

ومن القبائل الأزدية التي شاركت القرامطة ثم أخرجهم العيونيون من البحرين ونفوهم إلى عمان، قبيلتا حمي بن عيمان وحدان، يقول:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، «نبط».

(٢) ديوان ابن المقرب، ص ٤٦٩. يتكرر في حواشي الديوان، وصف الأزد باليمن، والمقصود هو النسبة وليس الأصل.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٩٠.
وابن مقرب نفسه يقول:

فَـالأَزْدُ أَجْلَوْا قَبْلَكُمْ عَنْ مَـأْرِبٍ وَهُمُ جِبَالُ الْعِزِّ مِنْ كَهْلَانِ
فَنَفَوْا مُلُوكاً بِالْعِرَاقِ وَيَثْرِبٍ وَالشَّامِ وَانْفَرَدُوا بِمُلْكِ عُمَانِ

المصدر نفسه، ص ٦٣٩.

لَكِنَّهُمْ أَثْبَتُوا آسَاسَهَا وَنَفَوْا عَنْهَا حَمِيَّ بنَ عَيمَانٍ وَحَدانَا[1]

ذلك كان التكوين الأساس للقرامطة، ولكن كما لاحظنا من مقولة الأزهري، هنالك قبائل عربية غير أزدية وقفت إلى جانبهم، وأشهر هذه القبائل هي:

بنو عامر:

إن ملاحظة تحرك بني عامر في إقليم البحرين يعطي صورة عن كون هذه القبيلة بدوية لم تعرف الاستقرار والاستيطان، وإنما اتخذت هذه المواطن الزراعية كمصادر رزق سهلة أو إقطاعات لشيوخ هذه القبيلة التي يمتد انتشارها من أعلى الفرات حتى الأطراف الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية. وإلى جانب هذه الإقطاعيات التي تتكون من المزارع والنخيل والثروات المائية، كان الحكام يدرأون شر هذه القبيلة بدفع حصص مالية لأولئك الشيوخ، إما مما يدر عليهم به البحر من لؤلؤ، وإما أتاوات محصلة لهم من السكان، وهذا ما لاحظناه في مواقف كثير من الحكام العيونيين معهم.

وعلى هذا النحو كان موقف بني عامر مع القرامطة، فبعد أن اشتد ضغط العيونيين عليهم وحاصروهم في معقلهم في الأحساء حتى أوشكوا أن يقضوا على وجودهم فيها، سارعوا إلى الاستنجاد ببني عامر الذين هرعوا لنجدتهم، فلحقتهم الهزيمة أجمعين، يقول:

فَاسْتَنْجَدَتْ عَامِراً مِنْ بَأْسِهَا فَأَتَتْ مُغِذَّةً لَا تَرَى فِي سَيْرِهَا يَتَمَا[2]

العقيدة الدينية للقرامطة:

تتوجه بعض الدراسات المعاصرة إلى محاولة إخراج القرامطة بصورة

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٤. مغذة: مسرعة. اليتم: الإبطاء في السير.

الرجال الثوريين المصلحين، الذين أنشأوا دولة تعد نواة لإقرار عدالة اجتماعية قائمة على التمرد على السلطات الحاكمة في زمانهم، ونشر المساوات بين الطبقات، ثم إقامة مؤسسة اجتماعية تؤمن باستمرار الثورة والتغيير[1].

والواقع أن هذه النظرات، نظرات شخصية تدخلت فيها الدوافع الذاتية والاتجاهات الحزبية المعاصرة، التي أسقطت من حساباتها الظواهر التاريخية بوصفها نتاج مجتمع إنساني شديد الارتباط بالبنى الدينية والبشرية والجغرافية التي تنبثق منها تلك الظوهر.

وأول ما يجب ملاحظته هو أن فكر هذه الجماعة هو فكر وافد، استغل العواطف الإنسانية لتغذية التيارات المعادية للحكام المحليين والإقليميين، وذلك لتحقيق مكاسب شخصية وللتنفيس عن أحقاد دفينة، وقد ظلت تشهر السلاح في وجه الآمنيين وتعتدي على الحرمات.

ولقد كان التشيع هو التكئة التي اتكأ عليها القرامطة، فأبرزوا فكرة المهدي للسكان، لتنجر وراءهم الأحلام المكبوتة، والعواطف الملتهبة، ولكن سرعان ما انكشفت الحقيقة، فإذا بأولئك الذين ناصروهم يصبحون الضحية الكبرى لتلك الترويجات والدعايات.

وقد أصبحت عبد القيس، القبيلة ذات الانتشار الواسع في المنطقة، تتطلع إلى الخلاص من أيدي هذه الفئة الحاقدة، على حين أجاد القرامطة اللعبة السياسة، فقويت شوكة أعوانهم، الفرس والأزد، وسالموا البدو وصالحوهم حتى أصبحوا سنداً وعوناً لهم، كما ارتبطوا بالفاطميين ارتباطاً فكرياً مصلحياً، لم يخل أحياناً من صدام مسلح.

---

(١) انظر على سبيل المثال: عارف ثامر: القرامطة (بيروت، دار الكتاب العربي ب. ت). إسماعيل المير علي، القرامطة، بيروت، دار مكتبة الهلال ط أولى ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.

سلوك القرامطة:

ومن هنا، فإن ديوان ابن مقرب مفيد جداً للاطلاع على آراء هذه الفرقة وسلوكها ومعتقداتها، ويتضح ذلك من الآتي:

التحريق:

مهما بلغت فظاعة أي نظام منبثق من الشعب، فإنه لن يقدم على جَمْع رعاياه وحرقهم أحياء، مما يعني أن هذا التصرف كان موجها أصلاً ضد الشعب، وليس ضد شريحة منه. فعبد القيس التي استوطنت عموم البحرين: (في منازلها)، لم يسلم منهم أحد من حملات الإبادة التي شنها القرامطة، يقول:

وَحَرَّقُوا عَبْدَ قَيْسٍ فِي مَنَازِلِهَا وَصَيَّرُوا الْغُرَّ مِنْ سَادَاتِهَا حُمَمَا[1]

ويُعد هذا العمل فاتحة الأعمال التي سار عليها القرامطة ضد مخالفيهم في الرأي والمعتقد.

تعطيل الصلاة والصيام:

الصلاة والصيام ركنان رئيسان من الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام، وما من فرقة من الفرق الإسلامية الرئيسة ترى إلغاء أي من أركانها الخمسة، والقرامطة جعلوا تأدية هاتين الفريضتين مسألة شخصية لا علاقة لها بالأوامر الشرعية، ولهذا لجأوا إلى إيجاد مرجعية خاصة تستلهم منها الأوامر والنواهي، فتحولت الدعوة التي كان شعارها الإنقاذ والتصحيح إلى تسلط فردي مزدوج يجمع السلطة التشريعية والتنفيذية وذلك وفق رؤية فلسفية لم يكن لها بد في ذلك العصر، من اعتماد الدين، يقول:

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٣١. الحمم: جمع حمة، وهي السواد، وما تفحم بعد الاحتراق.

وَأَبْطَلُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَانْتَهَكُوا شَهْرَ الصِّيَامِ وَنَصُّوا مِنْهُمُ صَنَمَا[1]

وعلى هذا الأساس من إلغاء الصلاة والصيام، انبث الرعب في قلوب السكان، فهُجرت المساجد، وقام أتباع القرامطة بتدميرها:

وَمَا بَنَوْا مَسْجِداً لِلَّهِ نَعْرِفُهُ بَلْ كُلَّ مَا أَدْرَكُوهُ قَائِماً هُدِمَا[2]

الاجتماع السنوي للجنسين (الماشوش):

مما يؤكد أن هذه الفرقة فرقة أجنبية ذات ارتباط عقائدي بالديانات القديمة الأخرى، الإيرانية بالذات، شيوع هذه الممارسة الجنسية بين أتباعها، فاسمها ليس عربياً، بل أجنبي فارسي، ولذلك تعقد في أول ليلة من ليالي النيروز (برج الحمل)، الموافق لليلة العاشرة من محرم، وهذا يفسر التشويه الذي مارسه القرامطة على الاتجاهات المذهبية. ففي تلك الليلة يشعلون الشمون، فيرقصون نساءً ورجالاً، ثم يطفئونها ويختلطون كل رجل يأخذ بيد امرأة دون مراعاة لحرمة أو قرابة، يقول:

مِنَّا الَّذِي أَبْطَلَ الْمَاشُوشَ فَانْقَطَعَتْ آثَارُهُ وَانْمَحَى فِي النَّاسِ وَانْطَمَسَا[3]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٣٢. نص الضم: أظهره ورفعه. ويقصد بالصنم، الحصان الذي تركوه واقفاً ينتظر عودة أبي سعيد حمدان القرمطي. انظر، ناصر خسرو، رحلة ناصر خسرو ٨ ص ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص. ص ٥٥٠ ـ ٥٥١.

ومن المعروف في التاريخ حركة قباذ والد كسرى أنو شروان والمانوية وقد سبقتها الزرادشتية والمزدكية. ولا شك أن لها جذوراً في الثقافة الإيرانية، وقد ذكر أوس بن حجر وضع المجوس، وأن الرجل يتزوج منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه (التاج: ضيزن).

وَالْفَارِسِيَّةُ فِيهِمْ غَيْرُ مُنْكَرَةٍ فَكُلُّهُمْ لِأَبِيهِ ضَيْزَنٌ سَلَفُ

ومن ألعابهم الدعكسة، وهي لعبة للمجوس يسمونها الاستبند: يدورون وقد أخذ بعضهم يد بعض كالرقص، قال الراجز: (التاج: دعكس).

طَافُوا بِهِ مُعْتَكِسِينِ نُكَّسَا عَكْفَ الْمَجُوسِ يَلْعَبُونَ الدَّعْكَسَا

وفكرة الرقص علىَ ضوء الشموع بمصاحبة الآلات الموسيقية، فكرة ليست معروفة في التراث العربي، وإنما هي من المظاهر الاجتماعية عند الفرس.

الفتنة ومهاجمة الأماكن المقدسة:

لم يقتصر الرعب الذي بثه القرامطة على البحرين فقط، بل تجاوز ذلك إلى مهاجمة الحكومة المركزية في بغداد والأطراف الآمنة في الشام، بل إن زعيمهم أبا طاهر القرمطي هاجم مكة نفسها واستحل حرماتها يقول:

مِنْ بَعْدِ أَنْ جَلَّ بِالْبَحْرَيْنِ شَأْنُهُمُ ... وَأَرْجَفُوا الشَّامَ بِالْغَارَاتِ وَالْحَرَمَا

وَلَمْ تَزَلْ خَيْلُهُمْ تَغْشَى سَنَابِكُهَا ... أَرْضَ الْعِرَاقِ وَتَغْشَى تَارَةً أَدَمَا[1]

القضاء على القرامطة:

لا يقدم ديوان ابن مقرب تفصيلات كثيرة عن السنوات الأولى للحرب بين العيونيين والقرامطة. إذ لم يحتفظ الديوان إلا بذكر استنجاد عبد القيس بعبد الله بن علي، ثم تَوَلِّي عبد الله القيادة ومساندة العيونيين له، وهم الذين وقع على كاهلهم المهمة الكبرى في منازلة القرامطة وقتالهم، يقول:

حَتَّى حَمَيْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَانْتَدَبَتْ ... مِنَّا فَوَارِسُ تَجْلُوا الْكَرْبَ وَالظُّلَمَا

وَطَالَبَتْنَا بَنُو الْأَعْمَامِ عَادَتَنَا ... فَلَمْ تَجِدْ بَكَماً فِينَا وَلَا صَمَمَا

وَقَلَّدُوا الْأَمْرَ مِنَّا مَاجِداً نَجِداً ... يَشْفِي وَيَكْفِي إِذَا مَا حَادِثٌ دَهَمَا

فَصَارَ يَتْبَعُهُ غُرٌّ غَطَارِفَةٌ ... لَوْ زَاحَمَتْ سَدَّ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَا نَثْلَمَا

إِذَا ادَّعَوا يَالَ إِبْرَاهِيمَ ظَلَّ لَهُمْ ... يَوْمٌ يُشَيِّبُ مِنْ هَامِ الْعِدَى اللِّمَمَا[2]

وأبرز أولئك الرجال الذين اشتركوا في الحرب هم أبناء علي بن عبد الله،

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٣١. أدم: موضع.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٢. اللمم: جمع اللمة، وهي الشعر المجاوز شحمة الأذنين.

فمنهم: أبناء عبد الله: حسن ومسعود وماجد، وفضل وابنه محمد، وأبو مسيب عبد الله، ثم أبناء عمومتهم، ومنهم مالك العيوني، أبناء صَبّار الذين ينتمي إليهم ابن مقرب، يقول:

وَلَمْ نَزَلْ نَرِدُ الْهَيْجَاءَ يَقْدُمُنا ... مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ وَرَّادٌ إِذَا عَزَمَا
أَبُو عَلِيٍّ وَفَضْلٌ ذُو النَّدَى وَأَبُو ... مُسَيَّبٍ وَهُمَا تَحْتَ الْعَجَاجِ هُمَا
وَمِسعَرُ الْحَرْبِ مَسْعُودٌ إِذَا خَمَدَتْ ... وَمَاجِدٌ وَابْنُ فَضْلٍ خَيْرُها شِيَمَا
هُمُ بَنُوهُ فَلَا مِيلٌ وَلَا عُزُلٌ ... وَلَا تَرَى فِيهُمُ وَهَناً وَلَا سَأَمَا
كُلٌّ يُعَدُّ بِأَلْفٍ لَا يَضِيقُ بِهَا ... ذَرْعاً وَيُوسِعُهَا طَعْناً إِذَا أَضِمَا
وَمَالِكٌ حِينَ تَدْعُوهُ وَأَيُّ فَتَى ... حَرْبٍ إِذَا مَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ فَاصْطَدَمَا
وَمِنْ بَنِي الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ كُلُّ فَتًى ... يُخَالُ فِي الرَّوْعِ فَحْلَ الشَّوْلِ مُغتَلِمَا
يُنْمَى لِفَضْلٍ وَصَبَّارٍ وَإِخْوَتِهِ ... بَنِي عَلِيٍّ كِعَامِ الْخَطْبِ إِذْ هَجَمَا[1]

وفي المرحلة الأولى تلك، وقعت المعركة الحاسمة بين الفريقين، حيث حشدا كلَّ ما لديهما من قوة واستعداد، فالقرامطة ـ الذين يشكل الأزد قوام أتباعهم ـ استنجدوا بأنصارهم البدو بني عامر، وعلى وجه الخصوص بني عوف بن عامر، واستنجد العيونيون بالدولة العباسية التي أمدتهم بجيش بقيادة إكسلار، ثم دارت المعركة حول القصر الذي يسكنه القرمطي، يقول:

حَتَّى أَنَاخَ بِبَابِ الْحِصْنِ يَصْحَبُهُ ... عَزْمٌ يَهُدُّ الْجِبَالَ الشُّمَّ وَالْأَكَمَا
فَشَنَّهَا غَارَةً شَعْوَاءَ نَاشِئَةً ... كَسَى بِهَا الْعُمَّ مِن حِيطَانِهَا قَتَمَا
فَأَقْبَلَتْ وَرِجَالُ الْأَزْدِ تَقْدُمُهَا ... كَالْأُسْدِ قَدْ جَعَلَتْ سُمْرَ الْقَنَا أَجَمَا
فَصَادَفَتْ كُلَّ لَيْثٍ لَوْ يُحِسُّ بِهِ ... لَيْثٌ بِعَثَّرَ أَوْ خَفَّانَ مَا رَحَمَا
فَكَمْ صَرِيعٍ هَوَى عَفْصاً بِشِكَّتِهِ ... مِنْهُمْ وَآخَرَ وَلَّى الدُّبْرَ مُنْهَزِمَا

---

(١) ديوان ابن المقرب ص. ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥. أضم: غضب.

وَنَثْـرَةٍ أَخْفَـرَ الْهِنْـدِيُّ ذِمَّتَهَـا إِنَّ السُّيُوفَ الْمَوَاضِي تَخْفِرُ الذِّمَمَا
فَاسْتَنْجَدَتْ عَامِراً مِنْ بَأْسِهَا فَأَتَتْ مُغِذَّةً لَا تَرى فِي سَيْرِهَا يَتَمَا
ذُكُـورُ خَيْلِهِمُ أَلْفٌ مُهَتَّمَةٌ وَرَجْلُهُمْ يُفْعِمُ الْوَادِيَّ إِذَا زهما
وَجَمْعُنَا فِي مِئِينٍ أَرْبَعٍ حَضَرَتْ عَدًّا وَلَكِنَّهَا أَعْلَا الْوَرَى قَدَمَا[1]

وبعد دخول عبد الله بن علي القصر، راح ينازل بني عوف بن عامر، المنازلة التي كادت تقضي عليهم كلية، فهرب شيخهم، ووقع في يد عبد الله نساؤهم وأموالهم، يقول:

ثُمَّ انْتَحَيْنَا لِعَوْفٍ بَعْدَمَا وَرِمَتْ أُنُوفُهَا فَفَشَنَا ذَلِكَ الْوَرَمَا
دُسْنَاهُمُ دَوْسَةً مِرِّيَّةً جَمَعَتْ أَشْلَاهُمُ وَضِبَاعَ الْجَوِّ وَالرَّخَمِا
لَمْ يَنْجُ غَيْرُ رَئِيسِ الْقَوْمِ تَحْمِلُهُ خَيْفَانَةٌ كَظَلِيمٍ رِيعَ تَحْتَ سَمَا
ثُمَّ انْثَنَيْنَا بِجُرْدِ الْخَيْلِ نَجْنُبُهَا نَقَائِذاً وَأَفَأْنَا السَّبْيَ وَالنَّعَمَا[2]

وقد تكرر في شعره الإشادة بانتصارهم في المعركة حول القصر واستيلائهم عليه فقال:

وَإِنْ تَأْتِ قَصْرَ الْقُرْمُطِيِّ تَجِدْ بِهِ جَمَاجِمَ قَوْمِي وَالْقُرُومَ الْمَصَاعِبَا[3]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٣٢ ـ ٥٣٤. الأكم: جمع أكمة، وهي المكان المرتفع المُشْرِف.
العم: الطوال. القتمة. الغبارة. الشكة: السلاح، النثرة: الدرى.
الأجم: جمع أجمة، وهي مأوى الأسد.
عفصه: أثخنه في الصراع. عثر: مأسدة باليمن. خفان: موضع قرب الكوفة، وفوق القادسية.
(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٥٣٧ مرية: من المرة، أي القوة والإحكام.
الرخم: طائر كبير جارح. خيفانة: سريعة. الظليم: ذكر النعام. ريع تحت سما: أخافه المطر الغزير.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨. القروم: جَمع القرم، وهو السيد العظيم.

وقال:

بِذَا يَشْهَدُ الْقَصْرَ الْمَشِيدَ الَّذِي غَدَا بِنَا حَرَماً عَمَّنْ سِوَاكُمْ مُحَرَّمَا[1]

حرب السلاجقة:

إنه لشيء طبيعي أن ينشب الصدام بين القوة السلجوقية المهيمنة، والقوة العيونية الناشئة. فإذا كان هدف الخلافة العباسية التخلص من القرامطة، فإن هدف السلاجقة هو الحصول على مزيد من المكتسبات الإقليمية لبسط سيادتهم ونفوذهم. وعلى هذا الأساس من اختلاف المصالح قبض مؤسسة الدولة العيونية عبد الله بن علي على القائد السلجوقي البقوش الذي جاء مع أخيه إكسلار لمساعدته في القضاء على القرامطة سنة ٤٦٩ هـ/١٠٧٥ م وذلك بعد مغادرة أخيه البحرين، مما مكن عبد الله من الاستقلال بحكم البحرين.

وبعد وصول خبر مقتل البقوش إلى بغداد تجهزت قوة عسكرية قوامها ألفا فارس بقيادة القائد السلجوقي ركن الدين، الذي حاصر الأمير في قصره في الأحساء قرابة عام كامل. يقول ابن مقرب ذاكراً هذه الواقعة:

وَالشَّرْكَسِيَّةُ إِذْ جَاءَتْ تُطَالِبُنَا دَمَ النُّفُوسِ وَفِينَا تَقْسِمُ الْقِسَمَا[2]

كما قال أيضاً:

ضَرَبْنَا وُجُوهَ الشَّرْكَسِيَّةِ دُونَهُ وَأَقْفَاءَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَثَلَّمَا[3]

وتبدو القصة التي جاءت لتفسير البيت الأول غير متوافقة مع الأحداث التاريخية التي فرض فيها عبد الله بن علي بعد ذلك سلطانه، وهي تجعل

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦٩.
وانظر المديرس، الدولة العيونية، ص. ص ٧٨ - ٨٢، ٨٧ - ٨٨.

من جيش السلاجقة أناساً من الجهلة غير المجربين، فتجعلهم يضلون الطريق مع أن طريقهم الرئيسة هي البصرة فالقطيف فالأحساء، وما بعد الأحساء إلا تيه الصحراء. كما جعلتهم مرتزقة جاءوا للنهب والسلب، وليس للثأر والانتقام. والواقع أن القصة تحكي خيبة القائد السلجوقي ركن الدين. ثم إن بيتي ابن مقرب صريحان في ذلك ولا يحتملان كل ذلك التفسير.

ولم ترحل تلك الفرقة العسكرية إلا بعد أن سَلّم لهم علي بن عبد الله بن علي نَفْسَه خِفية عن أبيه، فأخذوه وسجنوه في كرمان حتى تمكن من التخلص منهم بعد ذلك، يقول:

مِنَّا الَّذِي جَادَ بِالنَّفْسِ الْخَطِيرَةِ فِي عِزِّ الْعَشِيرَةِ حَتَّى اسْتَرْحَلَ الْعَجَمَا[1]

ومع هذا، فابن مقرب يَدَّعي أن الفرقة الفارسية التي حاصرت القصر، جلت عن الأحساء بعد أن مَلّت من طول الحصار، وأرهقها القتال المستمر، يقول:

وَنَحْنُ حَمَيْنَاهُ الأَعَاجِمَ بَعْدَمَا أَقَامَتْ تَرُومُ الْمُلْكَ حَوْلاً مُحَرَّمَا

ضربنا..

وَقَدْ غَرَّرَتْهُمْ مِنْ نِزَارٍ وَيَعْرُبٍ لِشَنْآنِكُمْ قَوْمٌ وَقَوْمٌ تَبَرُّمَ
فَعُدْنَا بِبِيضٍ ذَكَّرَتْهُمْ حُدُودُهَا بِمَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ كِسْرَى وَرُسْتُمَا
فَوَلَّوْا وَرَاحَ الرُّكْنُ مِنْهُمْ كَأَنَّهُ صَرِيعُ عقَارٍ بَاتَ مِنْهَا مُجَشَّمَا[2]

وتحمل هذه الأبيات شعوراً يدل على عمق التنافر بين الجيش السلجوقي (الأعاجم) والعيونيين، وهو يعيد صورة الفتوحات الإسلامية الأولى بين المسلمين والفرس، على الرغم من أن السلاجقة مسلمين. كما

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٩.

تشير الأبيات إلى وجود عناصر قبلية عربية راحت تشجع السلاجقة على القضاء على العيونيين كرهاً منها لهم، وتضايقاً من حكمهم البلاد.

القضاء على أسرة آل عياش (سنة ٤٧٠ هـ/١٠٧٧ م):

يشير ابن مقرب إلى أن أسرة آل عياش كانت تحكم القطيف وأوال، (فمن ذلك قوله: كَانَ بَحْراً...)، وقوله: «يُزْجِي كَتَائِباً...». مما يتضمن قوة عسكرية، لها القدرة على تحقيق ذلك. وفي السنوات الأولى لسيطرة عبد الله بن علي على الأحساء، وقضائه على القرامطة، وقع خلاف بين عبد الله وحفيده، أبي سعيد علي، فتبعه جماعة من أصحابه ولجأوا إلى الحسن بن يحيى بن العياش (العباس)، وأخذوا يغيرون على الأحساء ولهذا قال: وسار إليه منكم...». ويفسر ذلك قول الشارح:

«يعني الذين ساروا إلى الأمير الحسن بن علي بن العباس (العياش)، من بني الأمير، وهو علي أبو سعيد ومن والاه، وكان قد خرج من عند جده، وأتى ابن عباس، وأقام عنده يركب لركوبه، ويغير على الأحساء. يقول: قد كان لنا به عذر لو أحببنا ابن العباس، وأجبناه إلى ما دعانا إليه وشاركناه في القطيف، ولكن لم يجبه أحد من آل إبراهيم، ولا أسلموا صاحبهم»[1].

وعلى الرغم من غموض العبارة، فإن الواضح أن الحسن بن العياش، ساوم عبد الله بن علي في حفيده أبي سعيد علي، لقاءَ عقد اتفاق بينهما، يُعطي فيها الحسنُ عبدَ الله مبالغ ونخيلا، ويشاركه في حكم القطيف، وأن تتوقف غاراته على الأحساء، وهذا يدل على أن أخاه زكريا ثار ضده ولذلك اضطر إلى عقد ذلك الاتفاق ليتفرغ لمواجهة أخيه. ولكن زكريا استطاع التخلص من الحسن فقتله.

---

(١) ديوان ابن المقرب، حاشية، ص ٤٧٠.

وحول هذا يقول ابن مقرب:

وَحَوْلَ ابْنِ يَحْيَى لَمْ تَصَاهَلْ جِيَادُنَا ... وَقَدْ كَانَ بَحْراً ذَا عُبَابٍ قَلَهْذَمَا
أَذَالَ لَنَا الْأَمْوَالَ دُرًّا وَعَسْجَداً ... وَتِبْراً وَنَخْلاً يَانَعاً وَمُكَمَّمَا
فَعِفْنَا سَنِيَّاتِ الْعَطَايَا حَمِيَّةً ... عَلَيْكُمْ وَدُسْنَا الشَّرَّ حَتَّى تَشَرْذَمَا
وَحَتَّى مَلَكْتُمْ مُلْكَهُ وَاقْتَصَرْتُمْ ... مَقَاصِيرَهُ الَّلاتِي بَنَاهَا فَأَحْكَمَا
وَقَدْ كَانَ يُزْجِي كُلَّ يَوْمٍ كَتِيبَةً ... إِلَيْكُمْ وَجَيْشاً ذَا زَهَاءٍ عَرَمْرَمَا
وَقَادَ إِلَيْهِ النَّاسَ بَأْسٌ وَرَغْبَةٌ ... وَعِزٌّ يُنَاصِي يَذْبُلاً وَيَلَمْلَمَا
وَسَارَ إِلَيْهِ مِنْكُمُ مَنْ عَلِمْتُمُ ... فَكَانَ لَنَا لَوْ نَبْتَغِي ذَاكَ سُلَّمَا[1]

ويواصل الشارح قائلاً: «إن زكريا حين قتل أخاه الحسن، جهز سريته إلى الأحساء، فلما بلغ قرية من سوادها تُسمى ناظرةً، حلَّ هناك وأغارت خيله...» وهكذا يقول ابن مقرب:

أَتَى مُغِيراً فَوَافَى جَوَّ نَاظِرَةٍ ... فَعَايَنَ الْمَوْتَ مِنَّا دُونَ مَا زَعَمَا

ولاحقته خيل عبد الله، فراح هارباً من المعركة:

فَرَاحَ يَطرُدُ طَرْدَ الْوَحْشِ لَيْسَ يَرَى ... حَبْلَ السَّلَامَةِ إِلَّا السَّوْطَ وَالْقَدَمَا[2]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٧٠. أذال: أعطى وابتذل. العسجد: الذهب. التبر: تراب الذهب قبل أن يسبك. اليانع: الذي حان قطافه. المكمم: المستور طلعه حتى يقوي. تشرذم: تفرق. اقتصرتم مقاصيره: تمكنتم منه. أزجى: ساق. ذو زهاء عرمرم: كثير مترامي الأطراف. يناصي: يبلغ ارتفاعه. يذبل: جبله بنجد. يلملم: جبل من الطائف بليلتين.
ولاحظ أن الذي بذل الهدايا الكثيرة من الذهب والجوهر وثمار النخيل، هو ابن عياش، وليس عبد الله بن علي، كما ذكر المديرس، الدولة العيونية، ص ٩٠، نقلاً عن دي خويه.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩.

وقد تمكن الأمير من مطاردة ابن عياش والاستيلاء على القطيف بعد مقتل العكروت أحد قواده الكبار، وفرار زكريا إلى أوال. وتمكن أيضاً من الاستيلاء على أوال وقتل زكريا نفسه بعد محاولته استرجاع القطيف:

وَلَمْ يُنَجِّ ابْنَ عَيَّاشٍ بِمُهْجَتِهِ ... يَمٌّ إذَا مَا يَرَاهُ النَّاظِرُ ارْتَسَمَا

ويقول:

فَانْصَاعَ نَحْوَ أَوَالٍ يَبْتَغِي عِصَماً ... إذْ لَمْ يَجِدْ فِي نَوَاحِي الْخَطِّ مُعْتَصَمَا
فَأَقْحَمَ الْبَحْرَ مِنَّا خَلْفَهُ مَلِكٌ ... مَا زَالَ مُذْ كَانَ لِلأَهْوَالِ مُقْتَحِمَا
فَحَازَ مُلْكَ أَوَالٍ بَعْدَ مَا تَرَكَ الْعَكْـ ... ـرُوتَ بِالسَّيْفِ لِلْبَوْغَاءِ مُلْتَزِمَا[1]

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٣٨ ـ ٥٣٩. اليم: البحر. ارتسم: الارتسام، التكبير، والتعوذ، والدعاء. أقحم: اقتحم.

obeikandl.com

الفصل الرابع
الإمارة العيونية في فترة التأسيس

يواجه الدارس لتاريخ الإمارة العيونية كثيراً من الغموض والاضطراب في تحديد فترات حكم الأمراء العيونيين، وتعيين أسمائهم. وعلى الرغم من أن الديوان يعد المصدر الأوفى والأكمل لهذه المعلومات، فقد تعددت وجهات نظر الدراسات الحديثة حول هذا. وسوف نحاول هنا استخراج هذه الحقائق ـ على قدر الإمكان ـ من هذا الركام، معتمدين على الشعر وما صاحبه من شروحات.

وتجدر الإشارة قبل التطرق إلى هذا الموضوع إلى أن ابن مقرب يستخدم أحياناً لقب أمير وأحياناً لقب ملك، حتى عند تلقيب الشخصية الواحدة. وسوف نقتصر هنا على اللقب الأخير، لأنه ألصق بطبيعة التكوين السياسي والإداري لهذه المؤسسة، وسوف نعمد إلى الترتيب التاريخي في تسلسل أولئك الحكام، معتمدين على من ورد ذكرهم في الديوان:

١ ـ عبد الله بن علي (ـ ٤٨٤ هـ/١٠٩٠ م):

مؤسس الإمارة العيونية، وفيه يقول:

وَعَاقَبَ قَوْمِي الْغُرَّ شَرَّ عُقُوبَةٍ وَخَصَّصَ مَنْ يُنْمِي عَلِيٌّ وَعَبْدَلُ[1]

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٢٨.

وقد جعل عبد الله الحكم وراثياً في أبنائه خاصة، وإن شارك في الحكم أمراء عيونيون آخرون، أما أبناؤه فهم:

أبو علي الحسن وفضل (وأبو مسيب) ومسعود وماجد، وضبار (أو صبار، كما يرد أحياناً)، يقول:

أَبُو عَلِيٍّ وَفَضْلٌ ذُو النَّدَى وَأَبُو ... مُسَيَّبٍ وَهُمَا تَحْتَ الْعَجَاجِ هُمَا
وَمِسْعَرُ الْحَرْبِ مَسْعُودٌ إِذَا خَمَدَتْ ... وَمَاجِدٌ وَابْنُ فَضْلٍ خَيْرُهَا شِيَمَا
هُمُ بَنُوهُ فَلَا مِيلٌ وَلَا عُزُلٌ ... وَلَا تَرَى فِيهِمَ وَهْناً وَلَا سَأَمَا[1]

كما يقول:

يُنْمَى لِفَضْلٍ وَضَبَّارٍ وَإِخْوَتِهِ ... بَنِي عَلِيٍّ كِعَامِ الْخَطْبِ إِذْ هَجَمَا[2]

وقد حكم من هؤلاء كما سوف نرى فضل أبو علي، والحسن، أما مسعود، فقد توفي قبل الملك في أثناء الحروب. وحكم ابن فضل (أي محمد بن الفضل بن عبد الله) في القطيف، أما بقية من ذكرهم، فظلوا أمراء عاديين، وكما نلاحظ فإن ضبار هو أيضاً من أبناء عبد الله بن علي لأن ابن مقرب يقول في الفضل بن مسعود:

لأَنَّ عَلِيًّا جَدَّهُ عَمِّيَ الَّذِي ... يَطُولُ بِهِ بَيْتِي عَلَى مَنْ يُطَاوِلُ
وَضَبَّارُ جَدِّي عَمُّهُ وَكِلَاهُمَا ... خَلِيصَانِ وَالْعَمُّ الْمُهَذَّبُ نَاجِلُ[3]

وعلي هو علي بن عبد الله جد أسرة آل أبي المصنور، فضبار إذن، هو ضبار بن عبد الله أيضاً.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٨.

٢ ـ الفضل بن عبد الله (ـ ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م):

وعلى العموم، فبعد وفاة عبد الله، قام ابنه الفضل، الذي يبدو أنه أكبر أبنائه، بتولي سدة الحكم بعده، فظل يدير شؤون الملك من القطيف، المدينة التي تولى إمارتها في حياة والده، على حين كان أخوه علي أميراً على أوال. وأخوه الحسن بن عبد الله أميراً على الأحساء.

ومع أن هناك من يذهب إلى أن الفضل اغتيل في تاروت على يد بعض خدمه (٤٨٤ هـ/١٠٩٠ م) وأن أباه توفي في حدود (٥٢٠ هـ/١١٢٦ م). وذلك استناداً إلى رأي بعض الكتاب من رجال القرن العاشر الهجري[١]، فإن هذه المعلومة يشوبها بعض القصور. إذ كيف يضم مؤسس الدولة عبد الله أوال إلى حفيده محمد بن الفضل فيعزل ابنه علياً عن الإمارة، مهما كانت مميزاته الخاصة، والأمر الآخر هو أن تاريخ الفضل صريح الدلالة على سيادته على الحكم دون منازع وأن أخويه علي والحسن كانا منضويين تحت تلك السيادة، كأمر لا بدّ منه حسب الأعراف القبلية.

ففي عهد الفضل اتسعت الدولة، واتخذت مكانة مرموقة في العلاقات الخارجية، وفي هذا العهد، وجدنا غياب شخصية المؤسس عبد الله تماماً من مسرح الأحداث. ولكن يبدو أن هذا التداخل بين الفضل وابنه، يعود إلى أنه ربما كان عيَّن ابنه محمداً أميراً على القطيف بدلاً منه بعد توليه الحكم، وتفرغ هو لبسط سيادة الدولة على مناطق التهديد الخارجية، أي البادية، فالديوان يذكر أنه «كان لا يقيم ببلد، بل هو مرة في الأحساء، ومرة بالقطيف ومرة بأوال في الفلاة، وكان مقامه بالفلاة أكثر ليقطع غوائل

---

(١) المديرس، الدولة العيونية ٩٦ ـ ١٠١. وهذا ما تردد في القطع فيه علي الخضيري، علي بن المقرب العيوني، وذلك استناداً إلى مخطوطة تاريخ ولاة العيونيين للحسن بن شدقم. انظر الخضيري، علي بن المقرب، ص. ص ٣٥، ٤٤٨. وانظر المخطوطة في ملحق دراسة المديرس ص. ص ٢٠٦ ـ ٢١٢.

البوادي عن البحرين»[1]. وهذا النص قاطع على أن الحكم آلَ إلى الفضل وأنه كان يتجول في أرجاء إمارته على أساس أنها كُلٌّ واحد، وأن أخويه تابعان له.

وليس هناك تحديد دقيق لسنوات حكم الفضل، ولكن ابنه محمداً تولى إمارة القطيف، بعد سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م ولذا فإننا نفترض أن وفاة عبد الله كانت سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩٠ م، وليست وفاة الفضل، وأن حكمه امتد إلى سنوات طويلة حتى سنة ٥٢٠ هـ، التي هي سنة وفاته. أما ما جاء في ديوان ابن مقرب من تحديد في قوله:

هُمَّامٌ حَمَى الْبَحْرَيْنَ سَبْعاً وَمِثْلَهَا سِنِينَ وَسَارَتْ في الْفَيَافِي مَوَاكِبُهْ[2]

فإنه قد يعني الضِّعْف، أي أربع عشرة سنة، ولا يعني هذا كلَّ سِنِيِّ الحكم، وإنما قد يشير إلى إقامته في البوادي بعد أن أصبح الخطر يهدد البحرين من البادية، وقد يعني مجموع «سنين»، وليس مدة محددة بالضعف، مع ملاحظة أن مخطوطة الديوان التي ذكرت سابقاً إقامة الفضل في البادية، نصت أيضاً على عبارة: «أن الأمير الفضل ملك البحرين»، مما يعني أنه خَلَف والدَه في الحكم حسبما نفترض هنا، ثم إن النسخة نفسها حصرت تلك المدة في أربع عشر سنة، سبع سنوات بالقطيف، ثم إنه انتقل إلى أوال واتخذها دار الملك، وكان يغير على عرب البادية[3]، فهناك تضارب في تأريخ وفاته ووفاة والده مع إشارات الديوان، مما يرجح ما نذهب إليه من توليه الملك بعد أبيه، وإن كان لا بدّ لنا من الاحتياط في قبول تاريخ وفاته المفترضة الأولى، أي سنة ٤٨٤ هـ.

وعلى العموم، فإن أهم ما يميز فترة حكم الفضل، هو انشغالُه

---

(١) ديوان ابن المقرب، حاشية ص ٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٧٥. الفيافي: جمع فيفاء، وهي الصحراء الملساء.
(٣) المصدر نفسه، حاشية ص ٥٨.

بحماية حدود الإمارة الخارجية من هجمات البادية، حتى اتخذ البادية نفسها مقراً له، ثم استتبابُ الأمن والانتعاشُ الاقتصادي، والضربُ على أيدي العابثين وقطاع الطريق، كما في قوله السابق: «وسارت في الفيافي مواكبه»، ثم وقوفه في وجه بني عامر، القوة التي كانت تهدد أمن البحرين واستقرارها. يقول بعد البيت السابق:

وَلَمْ يَرْعَ مِنْ ثَاجٍ إِلَى الرَّمْلِ مُصْرِمٌ ... عَلَى عَهْدِهِ إِلَّا اسْتُبِيحَتْ حَلَائِبُهْ
زَمَانَ يَقُولُ الْعَامِرِيُّ لِمَنْ غَدَا ... يُحَدِّثُهُ عَنْهُ وَذُو الْحُمْقِ غَالِبُهْ
مَتَى يَلْتَقِي مِنْ نَارَ بَرْدَ مَحَلُّهُ ... وَآخَرُ سَوْدِيٌّ بَعِيدٌ مَذَاهِبُهْ
فَلَمْ يَسْتَتِمَّ الْقَوْلَ حَتَّى إِذَا بِهِ ... يُسَايِرُهُ وَالدَّهْرُ جَمٌّ عَجَائِبُهْ
فَقَالَ لَهُ: الْآنَ الْتَقَيْنَا فَأَرْعَدَتْ ... فَرَائِصُهُ وَالْجَهْلُ مُرٌّ عَوَاقِبُهْ[1]

ومع أن الأبيات تحكي قصة وقعت للأمير مع أحد الأعراب، الذي ضَرَب مثلاً ببعد الأمير عنه قائلاً: «متلى يلتقي مَن محله بنارَ برَد ومن بالسودة»، فما إن أتم كلامه حتى برز له الأمير»، فإنها تكشف عن دأب الأمير في بسط الأمن على ربوع منطقته، خاصة على بني عامر الذين ناصبهم العداء وناصبوه.

وربما كشف لنا هذا التصدي للأعراب، خاصة بني عامر، مصدر اغتيال الفضل نفسه، إذ يبدو أن بني عامر أصبحوا يحيكون الدسائس للتخلص من الأمير، وربما كان ذلك باشتراك مع أخويه علي والحسن في الأحساء.

٣ - أبو سنان محمد بن الفضل (٥٢٠ هـ/١١٢٦ م - ٥٣٨ هـ/١١٤٣ م):

تولى الملك بعد أبيه حسب مفهوم النظام الوراثي (الابن بعد أبيه) وليس في ديوان ابن مقرب تفصيل عن هذه الشخصية، ولكن البيت الذي سنتناوله بعد ذلك وهو:

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٧ - ٥٨.

مِنَّا الَّذِي مِن نَـدَاهُ مَـاتَ عَـامِلُهُ غَمًّا وَأَصْبَحَ فِي ٱلْأَمْوَاتِ مُخْتَرَمَا[1]

يدل على الوفرة الاقتصادية التي تمتع بها عهده، والذي نغصته تلك الحروب المدمرة مع أعراب بني عامر ورغبة الأمير في الانتقام من قتلة أبيه[2].

أما الحدث الآخر في عهد أبي سنان محمد بن الفضل، فهو خروج رجل من البادية يدعى حماد النائلي، أغار على الأحساء فالتقى به أميرها من قِبَله، أبو المقدم شكر بن علي بن عبد الله في معركة الخائس، ثم طلبوا الصلح فصالحهم[3]. وهذا يعني أن الحرب في عهد أبي سنان وإنْ صَدَّها أبو شكر، وليس مثلما ذُهب إليه المديرس من أنها وقعت متأخرة في عهد أبي شكر بعد استقلاله[4]. فقد جاء في شرح الديوان: «كان ملك البلد يومئذٍ أبا سنان، وهو نازل في القطيف ومولیها أبا مقدم شكر بن علي»، وأبو سنان هو محمد بن الفضل، وهذا يعني أن شكراً كان يتولى إمارة الأحساء وأن أباه علياً كان يتولى إمارة أوال. أما عمه الحسن فربما كان أميراً إلى جانبه. وبعد توتر العلاقات بينهم وبين محمد انتقلوا جميعاً إلى الأحساء. وهذا ليس بغريب فقد حكم مسعود بن محمد إلى جانب ابن أخيه محمد بن ماجد. ولعل بعضهم كان أميراً على بعض أجزائها كم سنرى أيضاً.

وفي سنة٥٣٨ هـ/١١٤٣ م، زحف محمد على الأحساء للانتقام من

---

(١) ديوان ابن المقرب ص ٥٤١، اخترمته المنية: ذهبت به.

(٢) المديرس، الدولة العيونية، ص ١٠١.

(٣) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٤٦. وانظر المديرس، الدولة العيونية، ص ص ٩٨ - ١٠١، ١٠٧، ١١٠، ١١٢. وهو يذهب إلى أنها وقعت متأخرة في عهد أبي شكر، بعد استقلاله.

عميه علي والحسن، بعد أن انتزع أوال من يد عمه علي، وذلك انتقاماً منهما لموقفهما إلى جانب غفيلة بن شبانة الذي أراد أن ينتجع القطيف، فمنعه محمد منها وهزمه، وبعد معركة طاحنة بين الطرفين التجأ غفيلة إلى علي والحسن في الأحساء. وقد سقط محمد قتيلاً في المعركة التي دارت رحاها على مشارف الأحساء.

وبعد سقوط محمد قتيلاً، قام أبو فراس غرير بن الفضل (٥٣٨ هـ/١١٤٣ م - ٥٣٩ هـ/١١٤٤ م) بإعداد حملة عسكرية ضد عميه علي بن عبد الله والحسن بن عبد الله وابن عمه أبي المقدم شكر بن علي بن عبد الله، فالتقيا بغرير قرب الأحساء، حيث دارت بينهم معركة السليمات التي قتل فيها الأمير أبو منصور علي بن عبد الله بن علي وأمير آخر يدعى أبا مذكور، وثمانون رجلاً، وأسر خمسمائة وعشرون رجلاً[1].

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٤٣ - ٥٤٤. هناك رأي يذهب إلى أن أبا منصور علياً قُتل على يد ابنه منصور، المديرس، الدولة العيونية، ص ١١١، ونجده هنا قد قتل في حرب السليمات.

الفصل الخامس
انقسام الإمارة
بين آل الحسن وآل أبي منصور

أمراء آل الحسن في القطيف:

الحسن بن عبد الله (٥٤٩ هـ/١١٥٤ م):

لم يتجاوز حكم غرير سنة واحدة (٥٣٨ ـ ٥٣٩ هـ)، وبعد وفاته تمكن الحسن بن عبد الله من الاستيلاء على القطيف، في حين أصبح منصور بن علي بن عبد الله أميراً على الأحساء (٥٣٩ هـ/١١٤٤ م ـ).

ومن الملاحظ أنه جاء في شرح الديوان تعليقاً على زيارة الشاعر الثعلبي لقبر أبي سنان في الموقع الذي قتل فيه: «وقد أتى الأحساء في ملك الأمير المنصور بن عبد الله بن علي»[١].

ويبدو أنه وقع تقديم وتأخير في والد المنصور، إذ المشهور هو منصور بن علي بن عبد الله الذي تعاقب أبناؤه على حكم الأحساء.

ومع أن شارح الديوان سبق أن ذكر أن أبا منصور علياً قتل في معركة السليمات[٢]، فإنه علّق على قول ابن مقرب:

مِنَّا الَّذِي فَضَّ أَمْوَالَ الْخَزَائِنِ فِي غَوْثِ الرَّعِيَّةِ لَا قَرْضاً وَلَا سَلَمَا

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٣.

وَأَهْمَلَ الدَّخْلَ ذَاكَ الْعَامَ فَانْتَعَشَتْ بِهِ الرَّعِيَّةُ حَتَّى جَازَتِ القُحَمَا

فقال: «يعني بذلك أبا المنصور علي بن عبد الله بن علي العيوني، وذلك أن أهل الأحساء جرت عليهم وقعة سميت وقعة السليمات لشجر سلم نابت في تلك الأرض لأن أهل البادية خربوا فيها، أي في الأحساء في تلك السنة ثمار النخل والزرع...». ولكنه يقول بعد ذلك: «وقبل ذلك مرض الزرع ولم تكن لهم غلة، ثم صار هذا الحرب بعد فساد الزرع بسنة فصابت أهل الأحساء مشقة عظيمة، فأمر الأمير أبو منصور بالخزائن أن تفتح وتفرق على أهل الأحساء...»[1] وهنا حالتان: الأولى أن التضرر الزراعي سبق الحرب بسنة، والثانية أنه عندما وقعت الحرب أمر الأمير بالتموين الغذائي ـ وهذا مما يرجح أن أبا منصور علياً قتل في تلك الحرب التي لا بدّ أنها استغرقت فترة حتى انتهت ـ لحقت بأهل الأحساء الهزيمة بعد مقتل أميرهم. وقد ساعد التدمير الاقتصادي الذي مارسه غرير وجنوده في الإسراع بالتموين.

ومهما يكن، فإذا أخذنا بالرأي الذي يقول: إن أبا منصور علياً قتل في معركة السليمات، وأن منصوراً ابنه تولى حكم الأحساء بعد توحيد البلاد على يدي الحسن، ثم ربطنا ذلك بغزوِ ملكِ كرزاز أَوالَ في أوائل حكمه[2]، فإن هذا يعني أن منصوراً لم يستمر في الحكم إلا فترة وجيزة، وبعد وفاته تولى الحكم أخوه أبو مقدم شكر بن علي بن عبد الله الذي استمر في حكم الأحساء حتى وفاته على حين أصبح الحسن حاكماً للقطيف.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك من ذهب إلى أن علي بن عبد الله كان

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٥٤٤ ـ ٥٥٠. وانظر المديرس، الدولة العيونية، ص ١٠٦.

الأمير على الأحساء، والحسن الأمير على القطيف وأوال[1]، ولعل ذلك استناداً إلى الرواية التي لجأ فيها الرياشمة من عبد القيس إليه[2]، ومع تناقض هذه الرواية مع الرواية التي قُتل فيها أبو منصور علي[3]، فإن الأحداث بعد ذلك ترجح هذه الرواية الأخيرة، كما هو واضح من تولي أبي المقدم شكر حكم الأحساء. ونحن نميل إلى أن الأمير الذي أقطعه الحسن بن عبد الله الظهران، هو سليم بن مفلح وليس علياً، إذ إن علياً كان أميراً على الأحساء حسب الرواية الأولى، فكيف يقطعه الحسن ما هو جزء من ممتلكاته. وإنما الذي أُقطع هو سليم بن مفلح الذي يقول فيه:

وَفِي سُلَيْمٍ لَنَا عِزٌّ وَمُفْتَخَرٌ وَمُفْلِحٌ وَهُمَا لِلَّهِ دَرُّهُمَا

وتلتقي العبارة حول هذا الأمير: «سليم بن مفلح الذي كان أقطعه الأمير أبو علي الظهران فنزلها، وحَرَّم أن توقد بها غيرُ ناره»[4] مع العبارة هناك: «أقطعه بلداً تسمى الظهران على ساحل البحر ذات نخيل وثمار... وحرم أن توقد بها نارٌ للضيافة غيرُ ناره حتى مات»[5].

والفقرة الأخيرة «حتى مات»، مما يدل على أنها في سليم بن مفلح، وليست في أبي المنصور علي، الذي اتخذ الأحساء دار إمارته، كما يمكن أن يفترض.

وليس في الديوان بعد ذلك أية إضاءات جديدة على الوضع في القطيف وأوال. وهناك احتمال بتوزيع البلاد بين البيتين العيونيين: آل الحسن، في القطيف وأوال، وآل أبي منصور في الأحساء، على حين اختفى في هذه الفترة دور: آل فضل.

---

(١) المديرس. الدولة العيونية، ص ١٠٥.
(٢) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٤٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٥١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٥٤٥.

أمراء آل أبي منصور في الأحساء:

أبو المنصور(أبـو ماجد) محمد بن منصـور بن علي بن عبد الله بن علي (٥٥٦ هـ/١١٦٠ مـ - ٥٨٠ ه/١١٨٤ م).

يقول فيه:

مِنَّ الَّـذِي مَنَـعَ الأَعْـدَاءَ هَيْبَتُـهُ حَرْبَ الْبِلَادِ فَمَا شَدُّوا لَهُ حُزُمَا[١]

وفي هذا البيت إشارة إلى قوة شخصية محمد وهيبته، بحيث تراجع البدو عن حربه والتمرد عليه، على الرغم من سوء سيرتـه وعسفه، ومن الأحداث التي جرت في عهده ثورة ابنَي بَطَّال على ابنيه أميري الأحساء فضل وفاضل، فقتلا واحداً، وقطعا يدا الآخر وأخرجاه، ولكنهما أخفقا في استلام السلطة، فهربا إلى عُمان[٢].

شكر بن منصور بن علي (٥٨٠ هـ/١١٨٤ م - ٥٩٨ هـ/١٢٠١ م):

تولى الحكم بعد أخيه أبي ماجد محمد، فأسقط الضرائب التي كانت تثقل كاهل السكان، يقول فيه:

مِنَّـا الَّـذِي حَطَّ زُهْـداً عَنْ رَعِيَّتِـهِ كُلَّ الْمُكُوسِ فَأَضْحَى الْجَورُ مُنْحَسِمَا[٣]

وفي هـذا البيت إشارة إلى مـا كان يفـرضه أخـوه على الناس من جبايات وضرائب حتى هموا بالثورة عليه.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٧. شد الحزام: كناية عن الاستعداء والتشمير للأمر.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥٢.

ماجد بن محمد بن منصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي: (٥٩٨ هـ/١٢٠١ م - ٦٠٢ هـ/١٢٠٥ م):

لا يقدم لنا ديوان ابن مقرب·إضاءات على الأحداث من سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤ م)، حتى مجيء محمد بن أبي الحسين أحمد سنة (٥٨٧ هـ/١١٩١ م)، كما أن التاريخ يتوقف عند قضاء محمد بن أبي الحسين على سلطة شكر بن منصور سنة (٥٩٨ هـ/١٢٠١ م)[١]، الذي كان يحكم الأحساء حتى هذه الفترة. ولكن الديوان يلمح إلى أنه في سنة (٦٠٢ هـ/١٢٠٥ م) أوقع محمد بن أبي الحسين ببعض أصحاب بني ماجد[٢]، وهذا يعني أن أسرة آل ماجد استمرت تحكم الأحساء حتى هذه الفترة، ثم إن محمد بن ماجد استقل بحكم الأحساء سنة (٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م)، على الرغم من حداثة سنه، وذلك على أساس أن ذلك حق وراثي تكفله الأعراف القبلية، مع أن عمه أبا القاسم مسعود كان إلى جانبه.

---

(١) لاحظ أننا قدمنا ضم الأحساء سنة، عما حدده المديرس، الدولة العيونية، ص ١١٧، وهو سنة ٥٩٩ هـ، لأن ابن مقرب يقول: إن محمد بن أبي الحسين تحرك لمواجهة عرب الشام من الأحساء لا من القطيف. ديوان ابن المقرب، ص ٣٥٦. وقد وقعت هذه الحرب سنة ٥٩٨ هـ.

(٢) ديوان ابن المقرب، ص ٥٨٥.

وفي إشارة إلى تولي ماجد الحكم في الأحساء، يقول ابن مقرب:

كَمْ لِلْعَشِيـرَةِ مُذْ تَـوَلَّى مَـاجِـدٌ مِنْ سَـابِقٍ بِعْتُمْ وَمِنْ بُسْتَـانِ[1]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٣٤.

يرد اسم ماجد في الديوان، إلا أنه ليس ماجداً هذا، وإنما هو ماجد بن محمد بن أبي الحسين أحمد، وهو الذي مدحه ابن مقرب لاشتراكه في حروب سنة ٥٩٨ هـ، ضد بني ربيعة بقوله، ص ٣٥٧:

يَقُودُ نَوَاصِيهَا أَخُو الْجُودِ مَاجِدٌ وَفَضْلٌ إِذَا هَابَ الكَمِيُّ المُنَازِلُ

وذكره عندما مدح ابنه أبا شكر مقدم بن ماجد أمير القطيف (٦١٦ هـ/١٢١٩ م - ٦٢٠ هـ/١٢٢٣ م) ص ٧٩:

وَمَاجِدٌ كَانَ نِعْمَ الْمُسْتَغَاثُ إِذَا دَعَا إِلَى الْحَرْبِ دَاعِيهَا فَلَمْ يُجَبِ

وفيه يقول أيضاً، ص ٤٥٧:

وَهَلْ دَافَعَتْ عَنْ مَاجِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ حِلُّهَا وَحَرَامُهَا

أما أبو ماجد في قوله، ص ٤٥٨:

وَهَلْ حَمَى أَبَا مَاجِدٍ خَطُّهَا وَحُسَامُهَا

فهو محمد بن أبي الحسين أحمد، وليس محمد بن ماجد، لأنه يخطاب في هذه القصيدة مسعود بن محمد، ولا يعقل أن يذكّره بقتله محمدَ بنَ ماجد.

obeikandl.com

الفصل السادس
العودة إلى توحيد البلاد

آل الفضل:
إمارة عماد الدين محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل (٥٨٧ هـ/١١٩١ م ـ ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م):

تبيَّن لنا أن بلاد البحرين أصبحت مقسمة بين أفراد البيت العيوني في الأحساء: آل أبي الحسن وآل أبي منصور، بل كادت صورة آل أبي المنصور تكون هي البارزة في كل الأحوال، حتى لم يعد لآل الفضل، أي دور يذكر بعد مقتل محمد بن الفضل ووفاة أخيه غرير بعد عام من مقتل محمد.

ولكنا فجأة نجد بعد مدة شخصية تحتل مكانتها على بساط الأحداث، وتنتسب إلى حفيد المؤسس الأول عبد الله بن علي، أي محمد بن الفضل الذي انتزع حكام الأحساء من أسرته حكم البلاد عامة، خاصة القطيف وأوال. وهكذا ظهر عماد الدين محمد بن أبي الحسين:

حيث تمضي الأحداث سريعة، فيتجاوز ابن مقرب تلك الإشارات التاريخية، حتى يصل إلى هذه الشخصية الفريدة في عصره، فإذا بديوانه يتخذ منه مثلاً يضرب وقدوة يدعو إلى الاقتداء بها، وقد تميزت شخصيته بالحزم.

يعكس الشعر الذي قاله فيه صرامة الأمير محمد وحزمه في اتخاذ القرار وقمع المتمردين والمتآمرين، يقول:

أَجْرَى نِزَاراً كَيْفَ شَاءَ وَيَعْرُباً ... بِالْكُرْهِ مِنْ مُرَّادِهَا، وَعُتَاتِهَا
مَا حَارَبَتْهُ قَبِيلَةٌ إِلَّا غَدَتْ ... أَحْيَاؤُها وَفْداً عَلَى أَمْوَاتِهَا[1]

وصعوبة مواقف الأمير متأتية من بسط نفوذه على الجماعات البدوية (قبيلة)، وانقسام الموالين له إلى عدنانية (نزار)، وقحطانية (يعرب). كما يضاف إلى ذلك تآمر أسرة آل ماجد ضده، مما اضطره إلى الإيقاع بهم في حدود سنة ٦٠٢ هـ/١٢٠٥ م، وهي السنة التي واجه فيها تحالفاً قبلياً ضده[2]. وترجِّح هذه الأحداث أن توحيد البلاد لم يكن توحيداً حقيقياً، بل ترك فجوات للانفصال، إذ لم نجد محمداً هذا يُعَيِّن أحد أبنائه على الأحساء، مما يدل على بقاء الحكم في بني ماجد، كما دلت الأحداث بعد هذا على ذلك. ويشبه هذا التوحيد ذلك التوحيد الذي سبق أن تحقق على يدي الحسن بن عبد الله. ولكن هذا لا يعني أن الأحساء كانت خارج سلطته، إذ إن ابن مقرب يذكر سنة ٦٠١ هـ/١٢٠٤ م أن محمد بن أبي الحسين أحمد اتجه من الأحساء سنة ٥٩٨ هـ/١٢٠١ م للإيقاع ببني ربيعة، يقول:

فَسَارَ مِنَ الْأَحْسَاءِ تَطْوِي بِهِ الْفَلَا ... عِتَاقُ الْمَذَاكِي وَالْمَطِيِّ الذَّوَامِلُ[3]

أما أهم ما يتميز به عهده، فهو:

أ ـ الأمن والرخاء:

على الرغم من الحروب التي كان يشنها الأمير محمد على أعدائه، ومجابهته للضربات الخارجية، فإن الأوضاع الاقتصادية كانت مزدهرة، فعم

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٠٩. مرادها: لعله جمع مريد، وهو الخبيث الشرير، أو جمع مارد وهو الشديد العاتي.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨٥، وانظر، ص ٢٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٦. ناقة ذمول: تسير سيراً ليِّناً.

الرخاء، وتحولت البلاد إلى خصب وانتعاش، حتى قارنها ابن مقرب بجنة مأرب، يقول:

كَانَتْ بِهِ الْبَحْرَيْنُ جَنَّةَ مَأْرِبٍ أَيَّامَ بَهْجَتِهَا وَطِيبِ حَيَاتِهَا[1]

ب ـ العفو والحلم:

انشغل محمد بحروب متعددة الأطراف والجوانب، ولكنه لم يكن داعية حرب وعدوان، فلم يكن طائشاً متهوراً، وإنما كان حليماً لا يُقْدِم على الحرب إلا بعد تردد ومراجعة، فإذا ما وقعت، فإنه لا يسترسل مع أهوائه، بل كان يصفح عن أعدائه، ويغفر لهم حتى لو كانوا من أنصاره وبين ظهرانيه. وهكذا كان موقفه مع بني عقيل، الذين آذوه وضايقوه، مع أنه قدم لهم خدمات جليلة، يقول مبيناً حلم الأمير وفضائله:

فَمَنْ مِثْلِهِ يَرْمِي عِدَاكُمْ وَيَتَّقِي أَذَاكُمْ وَيَحْمِي دُونَكُمْ وَيَغَارُ
وَيُرْعِيكُمُ الْمَرْعَى وَلَو أَنَّ دُونَهُ عَثِيرُ دِمَاءٍ بِالسُّيُوفِ تُمَارُ
وَيُعْطِيكُمُ الْجُرْدَ الْجِيَادَ تَحُفُّهَا الـ ـمَوالِي وكُومٌ لَا تُذَمُّ عِشَارُ
وَيَعْفُو عَنِ الْجَانِي، وَلَوْ شَاءَ هُلكَهُ لَمَا عَصَمَتْهُ مِنْ قَنَاهُ ظَفَارُ[2]

ففي قوله: «يرمي عداكم ويتقي أذاكم»، تلخيص لتلك المعاناة التي كان يتحملها الأمير في سبيل إرضاء بني عقيل، ثم يكمل ذلك بالعطاء الجم، والتنازل عن جرائر ارتكبوها.

ج ـ العدل والسخاء:

يبدو أن استقرار الأوضاع الاقتصادية في البحرين واستتباب الأمن في

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٢١٠ ـ ٢١١. عثير: لعله من عثر يعثر، أي دماء يعثر فيها. تمار: تسال وتصب، فتتحرك جيئة وذهاباً. الجرد: جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر. عشار: اسم يقع على النوق حين ينتج بعضها، وبعضها ينتظر النتاج. القنا: جمع قناة، وهي الرمح. ظفار: باليمن.

ربوعها، صاحبهما ـ إلى جانب الحلم وسعة الصدر ـ نشر العدالة بين أفراد المجتمع وطبقاته. فحسبما يقول ابن مقرب، كان محمد ذا حصافة ورأي في تفهم المسائل القضائية، فكف أذى الظلمة والمعتدين، حتى بعد تمكنهم واستبدادهم.

وتبين الأبيات التالية كيف كان الأمير حريصاً على إشاعة الأمن والعدالة والرخاء بين رعاياه، فهو جواد كريم، لا يترك محتاجاً لحاجته، يحب الخير للجميع، وهو في الوقت نفسه شديد على أهل الجور والاعتداء، ثم هو يزيل الرَّوع من النفوس التي أحدثت جرماً فخافت العقاب، وأكثر من ذلك كله، كان محمد يكره اقتتال القبائل بعضها بعضاً، فكان يتوسط فيما بينها، فيزيل خلافاتها وأحقادها، يقول:

وَكَمْ رَاجِلٍ أَمْسَى بِنُعْمَاهُ فَارِساً ... وَكَانَتْ صَفَايَا مَالِهِ الْمَعْزُ والضَّانُ
وَكَمْ مِنْ حَرِيبٍ رَاحَ نَهْباً سَوَامُهُ ... فَرَاحَ عَلَيْهِ لِلْكَآبَةِ عُنْوَانُ
فَلَمَّا أَتَاهُ شَاكِياً مِنْ زَمَانِهِ ... غَدَا مِنْ عَطَايَا كَفِّهِ وَهْوَ جُذْلَانُ
وَكَمْ مُذْنِبٍ قَدْ خَافَ مِنْهُ عُقُوبَةً ... تَلَقَّاهُ مِنْهُ حُسْنُ صَفْحٍ وَغُفْرَانُ
وَكَمْ مِنْ قَبِيلٍ رَاحَ يَزْحَفُ بَعْضَهُ ... لِبَعْضٍ وَقَدْ شَبَّتْ بِوَادِيهِ نِيرَانُ
تَلاَفَاهُ مِنْهُ حُسْنُ رَأْيٍ وَسَطْوَةٍ ... فَرَاحَ وَقَدْ مَاتَتْ حُقُودٌ وَأَضْغَانُ[1]

د ـ القوة العسكرية:

إنه لا بدّ في إقليم غني (نسبياً)، كإقليم شرقي الجزيرة العربية، ذي طبيعة شبه حضارية، وتشكل الصحراء جزءاً كبيراً من مساحة، وتسكنه جماعات بدوية، أو شبه بدوية، أو حضرية (نسبياً) وتعتمد مصادر دخله على الثروات المحلية، خاصة اعتماد الزراعة فيه على الآبار الإرتوازية، من وجود قوة رئيسة ثابتة تحافظ على حياة أولئك السكان من الاعتداءات الخارجية، التي كثيراً ما كانت تهدد سواحله، أو الغارات التي كان يشنها

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٩٣. حريب: المسلوب ماله. سوامه: السوام، الإبل الراعية.

البدو، والتي كانت قادمة من الصحراء غالباً، إضافة إلى أن التشكيل السكاني غير المتجانس، وتفرق أجزاء الإمارة (أول ـ القطيف ـ الأحساء)، جعل من الضروري إيجاد مثل تلك القوة.

ولكن إمكانات هذا الإقليم المادية والبشرية والمادية محدودة، بالقياس إلى حجم الأخطار التي تهدده، ولذا كان الحكام الأقوياء يستعينون بالخلافة العباسية لمساعدتهم في السيطرة على البلاد مادياً أو عسكرياً.

ومع ذلك فلم يكن من الممكن أن يستوعب الحكم التجهيزات العسكرية الضرورية في البر والبحر، مع المحافظة على وحدة هذه الأقاليم السياسية. ولعل أكبر دليل على هذا هو هذه الفترة من حكم العيونيين. فجميع إشارات ابن مقرب تتوجه إلى الحملات العسكرية البرية، وأهم مكوناتها الخيل والعتاد المألوف: السيوف والرماح، بينما لا نجد ذكراً للأساطيل البحرية والدفاع البحري. وفي موضع آخر من هذا البحث سنتحدث عن الحروب والمعارك، ولكن ابن مقرب يقول عن قوة محمد: واصفاً حشوده العسكرية وآثارها الحربية:

جَـرَّارُ كُـلِّ كَثِيفِ النَّقْعِ ذِي لَجَبٍ كَـأَنَّمَا السُّمْـرُ فِي حَافَـاتِهِ أَجَمُ
تَسَاقَطُ الطَّيْرُ رَزْحَى فِي جَوَانِبِهِ وَالْوَحْشُ تَخْطِفُهَا الْأَيْدِي فَلَا تَرِمُ[1]

اغتياله:

تلك كانت أهم الخصائص التي يتميز بها محمد بن أبي الحسين أحمد، وهي، كما نرى، خصال حمَّلت الأمير طاقات ضخمة أرهقته جداً، وكان من الصعب المحافظة على نتائجها في ظل أوضاع متوترة، وفي وسط مجموعات متنافسة متناحرة، يطمح بعضها إلى السيادة والسلطة، ولذلك نشط خصومه، بنو عقيل، في تدبير المؤامرات ضده حتى تمكنوا من التخلص منه باغتياله سنة ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م، يقول ابن مقرب، ذاكراً هذا الحدث الجلل:

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤. والبيتان كلاهما كناية عن تلك القوة.

إنْ نَبْكِ مَصْرَعَهُ أَسًى فَلَقَدْ بَكَتْ جَزَعاً عَلَيْهِ الْجِنُّ مِنْ سُتُراتِهَا[1]

ويقول:

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ قَضَى وَأُصِيبَتْ يَوْمَ نَحْسٍ مَقَاتِلُهْ[2]

ويقول:

خَابَتْ ظُنُونُ رِجَالٍ بَايَعُوا وَسَعَوْا فِي قَتْلِهِ وَهَفَتْ أَحْلَامُهُمْ وَعَمُوا[3]

وقد دفن محمد في مكان يدعى العِذار بالقطيف، يقول:

عَلَى جَدَثٍ أَضْحَى بِهِ الْمَجْدُ ثَاوِياً بِحَيْثُ يَرَى شَطَّ الْعِذَارِ مُقَابِلُهْ[4]

ويقول:

الْمَجْدُ أَمْسَى دَفِيناً بِالعَذَارِ فَقُمْ كَيْمَا تُقِيمَ لَهُ نَوْحاً وَإِرْنَانَا[5]

قصائد أخرى في محمد بن أبي الحسين:

وردت بعض القصائد في ديوان ابن مقرب، يشوبها نسبتها فيمن قيلت فيه، وفي المناسبة التي تدور حولها، غموض، وسوف نحاول هنا استجلاء ما يمكن استجلاؤه من حقيقتها.

ففي الديوان قصيدة لم يذكر ممن هي فيه، وهي:

زَهَتْ هَجَرٌ مِنْ بَعْدِ مَا رَثَّ حَالُهَا وَعَادَ إِلَيْهَا حُسْنُهَا وَجَمَالُهَا[6]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١١٠، وانظر رثاءه الدامع له، ص ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٢٤. هفت أحلامهم: طاشت عقولهم.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٣١. الجدث: القبر.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٠٧. ويتبين من ذلك أن العذار في مقابل ساحل القطيف. وإن كان محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر. تحفة المستفيد، ذكر أن العذار (أو المزار كما رواه) بين الآجام ومقابر صفوى.

(٦) المصدر نفسه، ص. ص ٣٥٩ ـ ٣٦٣.

وهو يكنيه هنا بأبي علي، فيقول:

فَعِشْ أَبَداً يَا بَا عَلِيٍّ بِعِزَّةٍ يَزِيدُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي جَلَالُهَا

مع أنه لم يستخدمها في أية قصيدة من قصائده فيه إلا في قصيدة نونية سنتحدث عنها بعد قليل، بل قال:

فَعِشْ فِي عَظِيمِ الْمُلْكِ مَا لَاحَ كَوْكَبُ[1]

وقال:

فَعِشْ وَابْقَ يَا تَاجَ الْمُلُوكِ مُؤَيَّداً[2]

وإضافة إلى ذلك، فقد كان يلجأ أحياناً إلى الكنايات بدلاً من الكنية، يقول:

حَنَانَيْكَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ فَلَمْ تَدَعْ[3]

وقال:

إِلَيْكَ ابْنَ شَقَّاقِ الْفَوَارِسِ مِدْحَةً[4]

ويلجأ إلى التصريح باسمه محمد، بدلاً من كنيته، فيقول:

وَأَقْبَلَ لَيْثُ الْغَابِ أَعْنِي مُحَمَّداً[5]

ويقول:

وَإِنْ سَلِمَتْ نَفْسُ الأَمِيرِ مُحَمَّدٍ[6]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢١١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥٧.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥٩١.

obeikandl.com

وفي القصيدة بعض الإشكالات المحيرة، منها دعـواته إلى تقـريب آل جروان، مع أن قصائده الأخرى تخلو من ذلك، يقول:

وَجِدْ وَاجْتَهِدْ فِي آلِ جَرْوَانَ إِنَّهُمْ ... سُيُوفٌ تُفَرِّي حَاسِدِيكَ نِصَالُهَا
هُمُ بَـذَلُـوا فيمَـا يَسُـرُّكَ أَنْفُسـاً ... كِرَاماً وَنَارُ الْحَرْبِ يَعْلُو اشْتِعَالُهَا
وَهُمْ حَطَّمُوا سُمْرُ الْعَوَالِي وَفَلَّلُوا ... مَضَـارِبَ أَسْيَافٍ حَـدِيثاً صِقَـالُهَا
غَـدَاةُ أَبِي الْجَرَّاحِ يَغْـدُو كَـأَنَّـهُ ... نَعَـامَةُ قَفْـرٍ تَقْتَفِيهَـا رِئَـالُهَـا[1]

وفي هـذا إشارة إلى اشتـراك أبي الجـراح ضـده في حـرب سنـة ٥٩٨ هـ/١٢٠١ م.

وإلى جانب ذلك، فهذه النصائح غير مألوفة في مخاطبته محمد بن أبي الحسين أحمد، حيث يقول:

وأوصيـك خيراً بـالعشيرة كلهـا ... فَـإِنَّكَ مِنْ بَعْـدِ الْإِلَـهِ مَـآلُهَـا[2]

أما قوله:

بِـأَوْبَةِ مَيْمُـونِ النَّقِيبَةِ لَـوْ سَـطَا ... عَلَى الْأَرْضِ خَوْفاً مِنْهُ زَالَتْ جِبَالُهَا
بِهِ اعْتَدَلَتْ أَرْضُ الْحَسَاءِ وَغَيْرُهَا ... وَقَدْ كَانَ أَعْيَا لِلْأَنَامِ اعْتِدَالُهَـا[3]

فيعني أنه كان في الأحساء ذات يوم، ثم عاد إليها، ولذلك قال:

إِذَا غَابَ عَنْهَا غَابَ عَنْهَا رَبِيعُهَـا ... وَإِنْ آبَ فِيهَـا آبَ فِيهَـا ثِمَـالُهَـا

وكذلك قوله:

وَجَدِّكَ مُذْ فَـارَقْتَنَا مَـا صَفَتْ لَنَا ... حَيَـاةٌ وَلَا خَلَّى الْعُيُونَ انْهِمَـالُهَا

وبعد ذلك، فجميع قصائده في محمد بن أبي الحسين أحمد، كانت

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٦٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٠. ميمون: مبارك مضفر. النقيبة: النفس، أو الطبيعة، أو الخليقة. الثمال: ثمال القوم، غياثهم الذي يقوم بأمرهم.

تتميز بالقوة والدقة في تحديد الهدف، أما هذه، فتتراوح بين الحب والمدح والاستعطاف، والنصح.

ولكنه يقول كاشفاً عن موقف الأمير مع بني عقيل، وهو موقف لم يعرفه تاريخ الإمارة العيونية:

أَعَـزَّ عُقَيْـلاً عِـزَّهُ فَـتَـدَامَلَتْ ... وَمِنْ قَبْلُ أَعْيَا مَنْ سِوَاهُ انْدِمالُهَا
كَفَاهَا وَأَغْنَاهَا بِنَائِلِ كَفِّـهِ ... وَمَالِ عِدَاهَا فَاغْتَدَتْ وَهْوَ مَالُهَا
وَأَنْـزَلَهَا دَارَ الْأَعَـادِي بِسَيْفِـهِ ... فَأَضْحَتْ خَفَافِيثاً لَدَيْهَا صِلاَلُهَا
وَأَوْرَدَهَـا بِـالْمَشْـرَفِيِّ مَـوَارِداً ... حَـرَامٌ بِغَيْـرِ الْمَشْـرَفِيِّ بَـلاَلُهَـا
أَقَـامَ عُهُـوداً بَيْنَ عَمْـرٍو وَعَـامِـرٍ ... عَبِيٌّ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ انْحِلاَلُهَا[1]

فإذا ربطنا تحالف بني عامر ضده سنة ٦٠٢ هـ[2]، بحرب سنة ٥٩٨ هـ، التي اشترك فيها، أمكننا أن نحدد تاريخ هذه القصيدة فيما بين هاتين السنتين. مع ملاحظة أنه كان موجوداً في الأحساء سنة ٦٠١ هـ[3].

وهكذا يمكن قبول هذه القصيدة ـ إلى حد ما ـ على أنها في محمد بن أبي الحسين أحمد[4]. ولقد جزم الخضيري بأنها في محمد بن أبي الحسين أحمد على أساس من ذكره أبا الجراح، والكنية أبا علي. وإن كنا نشعر بأن شخصية أبي علي محمد بن مسعود، ربما تكون طاغية هنا، فأخواله بني عقيل، وهو الذي حقق الوحدة، وهو الذي كان مقيماً في الأحساء، ثم إن آل جروان نكبوا في عهد سلفه مسعود بن محمد، أما ذكر أبي الجراح، فلعله إشارة إلى مواقف آل جروان في حروب سنة ٥٩٨ هـ. إلى جانب عمه محمد بن أبي الحسين أحمد، فنصر عمه نصره هو أيضاً.

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٦١. اندمال: تدامل القوم، تصالحوا. الخفافيث: جمع خفاث، وهو الحية الكبيرة آكلة الأعشاب، وغير الضارة. الصلال: جمع الصل، وهو الجبة الخبيثة.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ص. ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧، ٥٤٨.
(٤) انظر الخضيري، علي بن مقرب، ص. ص ١٢١ ـ ١٢٣، ١٦٧.

لقد كانت آخر قصيدتين في محمد بن أبي الحسين هما اللتان قالهما سنة ٦٠٢ هـ:

الأولى:

رِمَاحُ الأَعَادِي عَنْ حِمَاكَ قِصَارُ وَفِي حَدِّهَا عَمَّا تَرُومُ عَثَارُ[١]

والثانية:

أَلَا رَحَلَتْ نُعْمٌ وَأَقْفَرَ نَعْمَانُ فَبُحْ بِاسْمِهَا إِنْ عَزَّ صَبْرٌ وَسُلْوَانُ[٢]

ولكن في الديوان قصيدة أخرى فيه، هي:

سَائِلْ دِيَارَ الْحَيِّ مِنْ مَاوَانِ مَا أَحْدَثَتْ فِيهَا يَدُ الْحَدَثَانِ[٣]

وشارح الديوان يجعلها في محمد بن أحمد بن أبي الحسين. وفيها يبدأ ابن مقرب بالوقوف على الأطلال، ثم الرحلة، وذلك حسب المخطط القديم للقصيدة العربية. ثم إنه يذكر في هذه القصيدة التشريد والمهاجرة، وهو ما لم يشر إليه بأدنى إشارة في مدائحه لمحمد بن أبي الحسين أحمد، على حين يقول هنا:

يَا هَاجِرَ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْغِنَى هَلَّا أَنَخْتَ بِرَبْعِهِ الْفَيْنَانِ[٤].

لقد توقف ابن مقرب عن إنشاد محمد أبي الحسين أحمد بعد سنة ٦٠٢ هـ، وهي السنة التي تحالفت فيها عامر على حربه[٥].

وكما علمنا سابقاً، فإن نغمة الرفض والاستياء لم نعرفها عند ابن

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٢٠٧ - ٢١٢. عثاء: كبو وسقوط.
(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٥٨٦ - ٥٩٣.
(٣) المصدر نفسه، ص. ص ٦١٨ - ٦٢٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٢٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

مقرب إلا بعد اغتيال محمد بن أبي الحسين، حيث أصيب بالجزع والهلع والأحباط، ونجد صدى ذلك في هذه القصيدة، في قوله السابق: «يا هاجر...».

وإضافة إلى ذلك، فإن أغلب قصائده في محمد بن أبي الحسين أحمد كانت تبدأ بمطالع حماسية، فيما عدا قصيدته التي تبدأ بمقدمة طللية: «ألا رحلت...».

وهناك فرق نفسي دقيق بين المقدمتين، فالأولى تعلن التباهي والتفاخر وعدم المبالاة بالمحبوبة والترفع عنها:

إِذَا افْتَخَرَتْ بِالضَّجعمِيِّينَ قَوْمِهَا قُضَاعَةُ وَانْتَاشَتْ عُرَى الْعِزِّ قَحْطَانُ

ثم يقول:

فَقَوْمِي الْأُولَى أَجْلَوا قُضَاعَةَ عَنْوَةً وَدَانَتْ لَهُمْ كَلْبٌ وَنَهْدٌ وَخَوْلَانُ

ويعدد افتخاراته حتى يصل إلى الأمير محمد فيقول:

وَإِنْ سَلِمَتْ نَفْسُ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ شَكَتْ مِنْ سَرَايَاهُ عُمَانٌ وَعَمَّانُ[1]

أما الثانية، فذات بعد نفسي حزين متحطم، باكٍ على الأيام الخالية والليالي الفانية، تندب من مضى حتى تصل إلى المدح، ثم هي تعبر عن حزن عميق وتأثر بالغ غير معهودين في مدحه للأمير محمد بن أبي الحسين أحمد، نجد ذلك في قوله:

بَانُوا وَكُنْتُ أَعُدُّهُمْ لِيَ جُنَّةً فَبَقِيتُ بَعْدَهُمُ بِغَيْرِ جَنَانِ
قُرِنَ الْأَسَى بِجَوَانِحِي لَمَّا بَدَتْ أَظْعَانُهُمْ كَالنَّخْلِ مِنْ قُرَّانِ
أَقْوَتْ مَغَانِيهِمْ وَكَانَتْ حِقْبَةً مَأْوَى الْحِسَانِ وَمَلْعَبَ الْفِتْيَانِ[2]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨، ٥٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦١٩. الجنة: ما يقيك من عدوك. الجنان: القلب، قران: اسم وادٍ. أقوت: خلت من ساكنيها. المغاني: المنازل التي كانت عامرة بالسكان.

وإضافة إلى ذلك، فإن ابن مقرب لم يستخدم قط الكنية (أبا علي) لمحمد بن أبي الحسين أحمد، إلا في قصيدته اللامية السابقة، وهنا نجده يكرر ذلك فيقول:

أَعْنِي الْأَمِيـرَ أَبَـا عَلِيٍّ ذَا الْعُلَى مُرْدِي الْعِدَى وَمُقَـطِّرَ الْأَقْرَانِ[1]

ويقول:

فَاسْلَمْ وَعِشْ يَا بَـا عَلِيٍّ مَا دَجَى لَيْلٌ وَنَاحَ الْوُرْقُ فِي الْأَغْصَانِ[2]

وأبـو علي كنية محمـد بن مسعود بن أبي الحسين أحمـد، وكنيـة محمد بن محمد بن أبي الحسين أحمد أيضاً.

وتكمل بقيةُ أقوالِه الصورةَ، لتنقلنا هنـا إلى محمد بن أبي الحسين الذي كان قادراً على تحقيق ذلك في قوله:

وَبَنِي لَبِيـدِ كُلَّهَـا فَـاجْتَـاحَهَـا بِـدِرَاكِ غَـارَاتٍ وَحُسْنِ طِعَـانِ
وَأَتَتْ إِلَيْـهِ بِـالْخَـرَاجِ مُـطِيعَـةً خَوْفاً مِنَ الْغَارَاتِ أَهْلُ عُمَانِ[3]

وإذا كانت القصيدة في محمد بن أبي الحسين أحمد، فإن تاريخ قولها لا بدّ أن يكون بعد سنة ٦٠٢ هـ، وهي السنة التي نص الديوان على أنه لم يقل بعدها شعراً فيه. وما قوله: «يَا هَاجِرَ الْأَوْطَـانِ»، إلا خطاب لنفسه هو، أي بعد أن رأيناه في العراق سنة ٦٠٤ هـ، فالقصيدة إذن، ربما قيلت بعد هذه الفترة، بعد أن شابت علاقته بالأمير شائبة ما، ثم عاد إليه مرة أخرى، ولكن بنفسية غير تلك التي كان يتعامل بها معه قبل ذلـك، ولهذا ظهر على قصيدته هذه تأثره وقلقه[3].

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦١٩. مقطر: قطّره، طعنه، فصرعه وألقاه على جنبه.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢٣.
(٣) المصـدر نفسه، ص ٦٢٢. ولعـل المستقبل يكشف حقيقـة هـذه القصيـدة؛ ومـع هذا فقد جزم أحمد موسى الخطيب، شعر علي بن المقرب العيوني، ص ٢١٦، بأنها في محمد بن أبي الحسين.

الفصل السابع
انشقاق الإمارة العيونية

أ ـ أمراء آل فضل في القطيف وأوال:

١ ـ الفضل بن محمد بن أبي الحسين أحمد: (٦٠٦ هـ/١٢٠٩ ـ ٦١٦ هـ/١٢١٩ م):

بعد اغتيال الأمير محمد دبت الفرقة بين أفراد الأسرة الحاكمة العيونية، فتجزأت البلاد، وقامت حركات كانت نتيجتها التطاحن والتحارب والاقتتال، ومن ثم نمضي مع الحكام العيونيين، فنجد الصراع يدور حول محورين: القطيف، والأحساء.

كان اغتيال الأمير محمد صدمة نفسية كبرى لابن مقرب، فقد اهتزت عنده الأوضاع، وافتقد الآمال التي كان عقدها على تلك الشخصية العملاقة التي ارتبط بها ارتباط محبة وإعجاب وأمل. ولذلك بدأنا نحس في شعره بنغمات الأسى والحزن، التي تكثفت بعد أن فارق الأمير الحياة. وما مدائحه التي قالها في من جاء بعده إلا مزيج من الألم والأمل. ولا تخلو قصيدة من قصائده، سواء في فضل أو في غيره، من التعريض بمن يسعى لهدم الدولة ولبث الفرقة والخلاف بين الرعية، وتكفي شكاواه المتوجعة المبثوثة في هذه القصائد لإعطاء صورة صادقة عن تلك الأوضاع. فعلى أثر تقسيم الإمارة إلى جزئين منفصلين: الفضل في القطيف وأوال، وفي الأحساء محمد بن ماجد؛ قال ابن مقرب عنهما، وعن الصراع الدائر بينهما:

مُذْ وَارَتِ الْغَبْرَاءُ شَخْصَ مُحَمَّدٍ رَحَلَ الْعُلَا وَالْمَجْدُ مِنْ أَبْيَاتِهَا
أَوَ مَا تَرَاهَا كَيْفَ نَامَ عَدُوُّهَا أَمْناً وَمَا قَدْ نَالَ مِنْ خَيْرَاتِهَا
وَتَرَى أَقَارِبَهَا وَأَهْلَ وِدَادِهَا غَرَضَ الْبَلَا فِي صُبْحِها وَبَيَاتِهَا[1]

ويقول:

وَجِئْتُ هَذَا أُرَجِّي عِنْدَهُ أَمَلاً نَزْراً فَصَادَفْتُ إِعْراضاً وَحِرْمَانَا[2]

أهم صفاته:

وعلى العموم، فإن فضلاً اختص في شعر ابن مقرب بما يأتي:

الشجاعة:

وتتمثل في قيادة الجيوش البرية وقتال الأعداء، كما في قوله:

وَالْقَائِدِ الْجُرْدَ الْعِتَاقَ إِلَى الْوَغَى يَخْرُجْنَ كَالعُقْبَانِ تَحْتَ كُمَاتِهَا
وَالطَّاعِنِ الْفُرْسَانِ كُلَّ مُرِيشَةٍ مَخْلُوجَةٍ وَالْخَيْلَ فِي لَبَّاتِهَا
وَالْخَائِضِ الْغَمَرَاتِ حَتَّى يَنْجَلِي بِحُسَامِهِ مَا ثَارَ مِنْ هَبَوَاتِهَا
وَالسَّالِبِ الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ تَاجَهُ وَمُذِيقَهُ الْمَكْرُوهَ مِنْ كَاسَاتِهَا[3]

العفة:

يظهر أن شخصية الفضل كانت شخصية متواضعة مسالمة، اتسمت بالإبقاء على صلة الرحم، يقول:

وَالْمُكْرِمِ الْجَارَاتِ عَنْ شَرِّ الْخَنَا إِنْ دَبَّتِ النُّوكَى إِلَى جَارَاتِهَا[4]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٦٠٦ - ٦٠٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٩، مريشة: السهم ألصق عليه الريش.
المخلوجة: الطعنة ذات اليمين وذات الشمال، قوله: القائد معطوف على اسم الفضل المجرور في بيت سابق.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٩، وانظر ص. ص ٢٢٠ - ٢٢١، ٥٢٢ - ٥٢٣. الخنا: الفسوق. النوكى: الحمقى.

ويقول:

وَالْوَاصِلِ الرَّحِمِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا ذُو الْعَرْشِ فِي الْآيَاتِ مِنْ سُورَاتِهَا

الكـرم:

وهي خصلة من الخصال التي أشاد بها العرب منذ جاهليتهم، خاصة في فرسانهم وأمرائهم، يقول:

وَالْوَاهِبِ الْهَجَمَاتِ عَفْواً وَاللُّهَا فِي عَامِهَا الْأَحْوَى وَفِي لَزْبَاتِهَا[1]

ولهذه الخصال مجتمعة، توطدت العلاقة بين الخلافة العباسية، والأمير فضل، وإذا كنا رأينا مثل هذه العلاقة سابقاً مع بعض الحكام العيونيين، فإن الجديد هنا هو وجود نوع من العلاقات الدبلوماسية الخارجية مع أطراف غير تقليدية، يقول:

وَجَرَتْ أَوَامِرُكَ الشَّرِيفَةُ فِي قُرَى كِسْرَى وَسَابُورِ الْمُلُوكِ وَقَيْصَرا[2]

نهايتـه:

وعلى الرغم من ذلك، فإن الأيدي التي أسهمت في التخلص من أبيه، عادت ثانية فتخلصت منه، فأخرجته بنو عقيل من القطيف وأوال، وولت مكانه ابن عمه أبا شكر مقدم بن ماجد[3].

٢ ـ أبو شكر مقدم بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين أحمد (٦١٦ هـ/١٢١٩ م ـ ٦٢٠ هـ/١٢٢٣ م):

إذا تجاوزنا عن معاني الشجاعة والكرم المتماثلة والمتكررة في

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٠٩، وانظر ص. ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥، ٦٠٨.
الهجمات: جمع هجمة، وهي من الإبل أربعون فزيادة، أو ما بين السبعين إلى المائة أو إلى ما دونها. اللها: العطايا من الأموال. عام أحوى: اشتدت خضرة الأرض فيه. اللزبات: جمع لزبة، وهي الشدة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

(٣) المديرس، الدوية العيونية، ص ١٣٠.

شعره[1]، فإن أهم ما يميز موقفه من مقدم، هو رضاه التام عن سيرته وحكمه، ثم نصحه له بالحذر من أعدائه المتربصين به، بني عقيل، الذين هم بين يديه، ووصيته له بالحزم والعزم في المواقف، يقول:

وَأُحسِبْ لِشَرِّ الْعِدَى مِنْ قَبْلِ مَوْقِعِهِ ... فَرُبَّمَا جَاءَ أَمْرٌ غَيْرُ مُحْتَسَبِ
وَغُرْ عَلَى الْمُلْكِ مِنْ لِعْبِ الرِّجَالِ بِهِ ... فَالْمُلْكُ لَيْسَ بِثَبَّاتٍ عَلَى اللَّعِبِ
وَارْفَعْ وَضَعْ وَاعْتَزِمْ وَانْفَعْ وَضُرَّ وَصِلْ ... وَاقْطَعْ وَقُمْ وَانْتَقِمْ وَاصْفَحْ وَخُذْ وَهَبِ
وَاحْذَرْ تُؤَخِّرَ فِعْلاً صَالِحاً لِغَدٍ ... فَكَمْ غَدٍ يَوْمُهُ غَادٍ فَلَمْ يَؤُبِ[2]

ويبدو أن الأوضاع الاقتصادية والسياسية كانت مستقرة في عهده، حتى ليقول في لغة مشابهة لتعبيره عن عهد جده محمد بن أبي الحسين:

يَا طِيبَ دَوْلَتِهِ الَّتِي أَيَّامُهَا ... شِيَةُ الزَّمَانِ وَغُرَّةُ الْأَيَّامِ[3]

ومن مظاهر ذلك الاستقرار نشاط الصلات التجارية بين البصرة والبحرين خاصة، وكذلك بين البحرين ومصر في حدود ضيقة[4].

٣ ـ أبو ماجد فاضل بن معن بن جعفر بن شبيب بن فضل بن عبد الله بن علي (٦٢٠ هـ/١١٢٣ م ـ ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م):

تولى فاضل بعد وفاة أبي شكر مقدم. وقد أشار ابن مقرب إلى وجود فاضل هذا إلى جانب مقدم يساعده في تدبير أمور البلاد، حتى إنه وصّاه به خيراً، وربما كان ذلك ترشيحاً منه لتولي الإمارة من بعده، يقول مخاطباً أبا شكر وهو أمير:

وَابْسُطْ يَدَيْ فَاضِلٍ فِي الْأَمْرِ تُكْفَ بِهِ ... مَا نَابَ وَارْمِ الْعِدَى عَنْ قَوْسِهِ تُصِبِ
فَفَاضِلٌ غَيْرُ خَوَّارٍ وَلَا وَكِلٍ ... فِي الْكَائِنَاتِ وَلَا وَانٍ وَلَا وَعِبِ

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٧٩ ـ ٨١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩٩. جاء ذلك في أثناء مدحه خليفته فاضلاً.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٩.

أَوْفَى نِـزَارٍ وَأَكْفَـاهَـا وَأَمْـنَعَـهَـا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَأَحْمَاهَا عَلَى الْحَسَبِ[1]

ولعل هذه الكفاءة الإدارية والحنكة السياسية، هي التي جعلت فاضلاً أهلاً لتسيير أمور البلاد بعده. وهذه حالة غريبة في تاريخ العيونيين الذين يتنازعون على السيادة فيما بينهم، رغبة في توريثها أبناءهم[2]، ويبدو من شعر ابن مقرب أن فاضلاً قبض عل مقاليد الأمور بسرعة بعد أبي شكر، الذي يبدو أنه توفي فجأة، يقول:

لَوْ لَمْ يَقُمْ فِي الْمُلْكِ ضَاعَ وَلَمْ يَعُدْ عُمْـرَ السِّنِيـنِ وَمُـدَّةَ الْأَعْـوَامِ[3]

أما السبب الرئيس الذي ساعد على توليه الحكم، فهو وقوف أبي قناع، شيخ بني الحارث أحد بطون بني عامر إلى جانبه، يقول موصياً فاضلاً بأبي قناع:

وَاشْـدُدْ يَـداً بِـأَبِي قِنَـاعٍ إِنَّـهُ نِعْمَ الْمُحَامِي دُونَهَا وَالْحَـامِي
وَاشْكُرْ لَهُ السَّعْيَ الَّذِي انْقَادَتْ بِهِ لَكَ وُلْدُ سَامٍ حَيْثُ شِئْتَ وَحَامِ
وَارْضَ الَّـذِي يَرْضَى وَقَـدِّمْ أَمْرَهُ وَأَطِعْـهُ طَـاعَـةَ مُقْتَـدٍ بِإِمَامِ[4]

كما يبدو أن فاضلاً كان على وئام مع أبي قناع، الذي آزره في حكمه حتى وفاته. وقد أشاد ابن مقرب بفاضل فاسبغ عليه الصفات المعهودة في الشجاعة والكرم، واليقظة في السياسة والحكم[5].

ويبدوا أن أحد أبناء أسرة آل الفضل خلف فاضلاً هذا، وذلك فيما يبدو لفترة قصيرة ثم انتزع محمد بن مسعود القطيف وأوال منه كما سنرى.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٨٣ ـ ٨٤. الخوار: الجبان. الوكل: العاجز الواني: الذي فتر وضعف وأعيا. الوعب: لعلها الوغْب، حركها للضرورة، وهو الأحمق.

(٢) يبدو أنه توجد هنالك علاقة ما بين الاثنين، تعود إلى صلة ما بين آبائهم. انظر، المصدر نفسه، حاشية ص. ص ٥٠٢، ص. ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠٠، وانظر بقية مدحه لأبي قناع ص. ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤.

(٤) المصدر نفسه، ص. ص ٥٠٣. وانظر بقية مدحه لأبي قناع، ص. ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤.

ب ـ أمراء آل أبي منصور في الأحساء:

١ ـ محمد بن ماجد بن محمد بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي: (٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م ـ ٦١٥ هـ/١٢١٨ م)[١]:

يتضح من المجريات التاريخية أن محمداً سارع إلى الاستيلاء على الأحساء بعد اغتيال محمد بن أبي الحسين أحمد، يقول شارح الديوان: «إن الأمير محمد بن علي (ماجد) بن عبد الله لما ملك الأحساء...»[٢].

وقد تولى محمد حكم الأحساء، وهو صغير، يقول فيه:

سَمَا لِلْعُلَا مِنْ قَبْلِ تَبْقِيلِ وَجْهِهِ فَأَدْرَكَهَا وَالْمَأْثُرَاتُ لَهُ صَحْبُ[٣]

وذلك وفقاً للأعراف القبلية التي تجعل من الابن وريث أبيه في الملك، على الرغم من وجود عمه أبي القاسم إلى جانبه، وربما كان ذلك بتأثير من أم محمد التي تزوجها بعد أخيه ماجد[٤].

وجاء في مقدمة شارح الديوان: «ثم إن الأمير محمد بن ماجد قتله عمه الأجل أبو القاسم محمد بن مسعود بن محمد بن علي وأولاده، أخوة الأمير محمد بن ماجد لأمه، وتولى الأمير أبو القاسم البلاد فامتدحه بقصيدتين..»[٥] وإذا دققنا في هذا النسب فإنه: أبو القاسم محمد بن

---

(١) سقط اسم منصور من جميع المراجع التي ذكرت أبناءه بعد ذلك. وانظر ديوان ابن المقرب، حاشية ص ٥٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢. بقل وجه الغلام: إذا خرج شعره.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩.

مسعود بن محمد بن منصور بن علي، عم: محمد بن ماجد بن محمد بن منصور بن علي، وعلى هذا النحو فهو ليس عمه وإنما ابن عمه، ولكي يصبح أبو القاسم عمه، فلا بدّ أن نسقط محمداً. وهذا ما يؤكده الديوان نفسه. فشارح الديوان يمضي فيقول: «وتولى أبو القاسم البلاد... وامتدح ولده الفضلَ مسعودَ... وامتدح ولده الفضلَ بنَ مسعود...». وابن مقرب يقول في مدح فضل هذا:

نَمَاهُمْ إِلَى الْعَلْيَاءِ أَشْرَفُ وَالِدٍ تَقُومُ لَهُ بِالْمَأْثُرَاتِ الدَّلَائِلُ
أَبُو الْقَاسِمِ الْمَلْكِ الَّذِي عُرِفَتْ لَهُ حِدَادُ الْمَوَاضِي والْعِتَاقُ الصَّوَاهِلُ[1]

فأبو القاسم، إذن، هو مسعود نفسه، وليس محمد بن مسعود. وهذا ما أكده الشارح القديم أيضاً في تعليقه على قصيدتين قيلتا فيه[2]، ونص عليه ابن مقرب في قوله:

فَقُلْتُ رُوَيْداً إِنَّهُ ابْنُ مُحَمَّدٍ وَإِنْ سَاءَنِي إِعْرَاضُهُ وَتَغَافُلُهْ[3]

بل جاء ذلك صراحة في تعليق الشارح: «وقال يفتخر ويذكر طرفاً من أيامه، ويتوجع من أفعال جرت على أهل بيته على يد الأمير أبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبد الله، وذلك أن أبا القاسم...». ويواصل تعليقه فيقول: «وغرض أصحاب أبي القاسم هلاك ملك بني إبراهيم الذين هم رهط الأمير أبي القاسم...»[4].

ومهما يكن، فالظاهر أن عمه كان ساكتاً على ذلك على مضض، إذ قام بقتل محمد بعد هذا واستولى على الملك مكانه.

ولعل أهم ما يتميز به عهد هذا الأمير هو بداية إلحاق الضرر بمن

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٣٣٤- ٤٥٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦١٠.

حوله من أبناء أسرته استجابة لحاشيته وبطانته. والأبيات التالية تتطلع إلى مستقبل أفضل، وإن كان العكس هو الصحيح، يقول:

أَتَـاني مِنَ الأَنْبـاء عَنْـهُ غَـرَائِبٌ فَلَذَّتْ بِهَا الأَسْمَاعُ وَاسْتَبْشَرَ الْقَلْبُ
بِعَـطْفٍ عَلَى وُدِّ الْعَشِيـرَةِ صَـادِقٍ وَرَفْضِ عِدَاهَا لَا مِحَالٌ وَلَا كَذْبُ
وَتَجْمِيـرِهَـا مِنْ كُـلِّ أَوْبٍ حَمِيَّـةً عَلَيْهَا فَزَالَ الْخَوْفُ وَالْتَأَمَ الشَّعْبُ[1]

وعلى الرغم من وصف ابن مقرب محمداً بالشجاعة، فإن وصفه بحداثة السن، كانت إشارة مبطّنة منه إلى قلة تجاربه في الحياة وعدم تقديره الأمور، وهذا واضح من طلبه منه إعمال الفكر والتدبير[2].

أبو القاسم/ أبو سنان عماد الدين مسعود بن محمد بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي (٦١٥ هـ/١٢١٨ م ـ؟):

تولى مسعود الحكم بعد قتله محمد بن ماجد، ومع أن شارح الديوان يقول في مقدمته أن ابن مقرب مدحه بقصيدتين[3]، فإن في الديوان عدة قصائد كلها في أبي سنان مسعود.

إحداها:

لَا عِـزَّ إِلَّا بِحَـدِّ الصَّـارِمِ الـذَّكَـرِ وَضَرْبِكَ الصِّيدَ بَيْنَ الْهَامِ وَالقَصَرِ[4]

والأخرى:

مَنْ ذَا أَفْتَـاكِ بِسَفْـكِ دَمِي يَـا غُـرَّةَ حَيِّ بَنِي جُشَـمِ[5]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٣. المحال: الكيد والحيلة. التجمير التجميع. الشعب: التفريق.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٩.
(٤) المصدر نفسه، ص. ص ٢٢٩ ـ ٢٣٣.
(٥) المصدر نفسه، ص. ص ٥٨٠ ـ ٥٨٤.
لاحظ أن مسعوداً هذا، هو أبو القاسم الذي ذكرناه سابقاً عند الحديث عن =

وتكشف أبيات القصيدة الأولى عن أن مسعوداً كان فارساً شجاعاً، يقول:

فَكَمْ أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ ذَا مَضَضٍ ... يَبِيتُ يَلْصِقُ مِنْهُ الصَّدْرَ بِالْعَفَرِ
وَكَمْ أَغَاثَ امْرَءاً أَضْحَى وَمُنْيَتُهُ ... مَوْتٌ يُؤَدِّي إِلَى الْفِرْدَوْسِ أَوْ سَقَرِ
وَكَمْ مَشَى الْخَيْزَلَى فِي ظِلِّ دَوْلَتِهِ ... مَنْ كَانَ يَنْسَابُ كَالْعِلَّوْصِ فِي الْخُمُرِ[1]

كما كان ذا شخصية شديدة التدين، فهو:

وَالْعَابِدُ الزَّاهِدُ الصَّوَّامُ إِنْ حَمِيَتْ ... هَوَاجِرُ الصَّيْفِ وَالْقَوَّامُ بِالسَّحَرِ[2]

وقد ذهب عبده قليقله، إلى أن القصيدة في أبي سنان محمد بن الفضل[3]. وهذا غير صحيح من الوجهة التاريخية، لأن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي ت ٥٣٨ هـ/١١٤٣ م، وابن مقرب ولد سنة ٥٧٢ هـ، ولم يخلف الفضل بن محمد، ولداً اسمه محمد حكم الأحساء.

وفي الديوان قصيدتان أشبه بأن تكونا تحريضاً عليه، الأولى:

أَفِي كُلِّ دَارٍ لِي عَدُوٌّ أُصَاوِلُهْ ... وَخَصْمٌ عَلَى طُولِ اللَّيَالِي أُزَاوِلُهْ[4]

والثانية:

إِلَى كَمْ مُدَارَاةُ الْعِدَى وَاحْتِرَامُهَا ... وَكَمْ يَعْتَرِينَا ضَيْمُهَا وَاهْتِضَامُهَا[5]

= محمد بن ماجد، والذي جاء خطأ في مقدمة الديوان على أنه أبي القاسم محمد بن مسعود بن محمد بن منصور بن علي.

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٣١. العفر: التراب. سقر: جهنم. الخيزلى: مشية فيها تثاقل. العلوص: الذئب الخمر: الشجر الكثيف.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٢٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١، عبده قليقلة، التجربة العشرية.

(٤) المصدر نفسه، ص. ص ٣٣٤ ـ ٣٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ص. ص ٤٥٦ ـ ٤٦٥.

وتكشف القصيدتان عن نواحي ضعف خطيرة في مسعود، وذلك إزاء استسلامه لتهديد بني عقيل، حتى يناديه محرضاً:

فَيَـا بَا سِنَـانٍ قُمْ فَأَنْتَ زَعِيمُهَـا وَأَنْتَ مُرَجَّاهَا وَأَنْتَ هُمَامُهَـا[1]

وفي الديوان قصيدة أخرى ذكر الشارح أنها في أبي سنان محمد بن علي بن عبد الله بن علي، وهي:

أَتَدْرِي اللَّيَالِي أَيَّ خَصْمٍ تُشَاغِبُهْ وَأَيَّ هُمَـامٍ بِـالـرَّزَايَـا تُـؤَاثِبُـه

وفيها يقول:

وَمَنْ مِثْلُ مَسْعُودِ الْأَمِيـرِ إِذَا غَدَا يَغَصُّ بِفَضْلِ الرِّيقِ وَالْمَاءِ شَارِبُهْ

وفيها ذكر للخصال الحربية التي كثيراً ما رددها في مدائحه مثل:

أَخُو الطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ وَالنَّقْعُ سَاطِعٌ وَوَقْعُ الْمَذَاكِي يَمْلَأُ الطَّرْفَ حَاصِبُهْ
وَضَرَّابُ هَامِ الدَّارِعِينَ إِذَا اسْتَوَتْ أُسُودُ الشَّرَى فِي مَوْجِهِ وَثَعَالِبُهْ[2]

وأهم ما تتميز به بداية حكم مسعود، هو رغبته الصادقة في نشر العدل والأمن والاستقرار بين الناس، كما يقول .

قصائد أخرى في أبي سنان مسعود بن محمد[3]:

وردت في الديوان جملة قصائد مضطربة النسبة، لها علاقة ما بأبي سنان مسعود هذا. وعلى الرغم مما تثيره هذه القصائد من ارتباك، وما قد

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٥٢ ـ ٥٨، وانظر ص ٣٤٩. ولعل هناك خلطاً بين مسعود هذا، ومسعود بن محمد بن أبي الحسين، في نسبة بعض القصائد إليه، إن وجد مسعود آخر؛ وقد ذهب عبده قليقلة، التجربة الشعرية عند ابن مقرب، ص ١٩٠. إلى أن القصيدة التي منها هذه الأبيات هي أيضاً في أبي سنان محمد بن الفضل بن عبد الله، وهذا غير صحيح من الوجهة التاريخية، كما بينا سابقاً وانظر تخليطه التاريخي عن أبي سنان وهذه القصيدة، ص. ص ٣٠ـ ٣١.

(٣) انظر ديوان ابن المقرب، ص. ص ٢٣٠، ٢٣٣.

تجر إليه من افتراض، فإنه كان من الضروري الوقوف عندها، والنظر فيها.

ففي الديوان قصيدة يقال إنها في مدح الأمير أبي سنان مسعود بن محدم بن علي بن عبد الله، مطلعها:

يَا سَاهِرَ الطَّرْفِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَجَلِ نَمْ فِي جِوَارِ الْهُمَامِ السَّيِّدِ الْبَطَلِ

ونجد في هذه القصيدة ابتهاجاً بالقضاء على مظاهر الضعف والانحلال التي وجدناها منذ تولى مسعود حكم الأحساء، خاصة تدخل الأعراب في الحكم، مثل قوله:

أَوْ خَلْفُ سُوءٍ مِنَ الْأَعْرَابِ هِمَّتُهُ مَا أَسْخَطَ اللَّهُ مِنْ قَوْلٍ وَمِنْ عَمَلِ

وابن مقرب يعبر عن هذا الابتهاج بقوله:

فَقَدْ كَفَاكَ مُقَاسَاةُ الْأَذَى مَلِكٌ مُتَوَّجٌ بَيْنَ فَضْلٍ ذِي النَّدَى وَعَلي

ويقول:

فَقَدْ تَرَى دَوْلَةَ السَّادَاتِ قَدْ خَفَقَتْ أَعْلَامُهَا وَتَوَلَّتْ دَوْلَةُ الْخَوَلِ

ثم:

كَيْمَا تَعُودَ إِلَى الْأَوْطَانِ آيِبَةً قَوْمٌ رَأَوْا قَبْلُ فِيهَا خَيْبَةَ الْأَمَلِ

وهو يذكر الكنية، «أبا سنان»:

أَبُو سِنَانٍ حَلِيفُ الْمَكْرُمَاتِ وَمَنْ أَنَافَ سُؤْدُدُهُ السَّامِي عَلَى زُحَلِ

وكذلك يقول:

وَأَنْتَ يَا بَا سِنَانٍ مِنْهُمُ خَلَفٌ وَذَلِكَ النُّبْلُ مِنْ آبَائِكَ الْأُوَلِ

ولكنه يقول في والده:

سَلْ عَنْهُ يَوْمَ أَغَارَتْ فِي كَتَائِبِهَا خَيْلُ الْقَطِيفِ مِنَ الْقَرْحَا إِلَى الْجَبَلِ
يَحُثُّهَا مِنْ عُقَيْلٍ كُلُّ ذِي أَشَرٍ مَوْلَى فَوَارِسَ لَا مِيلٌ وَلَا عُزُلِ

أَعْـطَى أَسِنَّتَهُمْ نَحْـرَ الْجَـوَادِ وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُمْ فِي مَجَالِ الطَّعْنِ بِالْكَفَلِ
حَتَّى حَمَى خَيْلَهُ غَصْبـاً وَسَـاعَـدَهُ قَلْبٌ جَـرِيءٌ وَرَأْيٌ غَيْرُ ذِي خَـطَلِ
ثُمَّ انْثَنَى رَاجِعـاً وَالنَّصْـرُ صَـاحِبُـهُ يَمْشِي بِهِ الْمُهْرُ مُخْتَالاً عَلَى مَهَلِ[1]

ونحن نعلم أن والـد مسعـود لم يخض حـرباً كهـذه، ثم إنـه من الواضح أن حركة الجيوش قادمة من الشمال في اتجاه القطيف، وليس في اتجاه الأحساء.

ومع ذلك فهو يقول:

وَمَنْ يُسَامِي أَبَا الْمَنْصُورِ وَالِدَكُمْ فَخْراً وَأَيْنَ الثَّرَى مِنْ مَعْقَلِ الوَعَلِ

صحيح أن والد مسعود هو محمد بن منصور بن علي بن عبد الله بن علي، ولكن أبا منصور محمداً هذا، لم يخض حرباً ضد عقيل، بل روي عنه قوله: «وددت أني أطارد خيل عامر إلى الليل يوماً كاملاً»، ثم إنه «مات ولم يظفر بذلك منهم لذلهم عن حربه». وكان شيخ بني عقيل شبانة بن غفيلة يقول: «ما نطمع أن نقف بين أيديهم». وإضافة إلى ذلك فأبو منصور أو أبو ماجد محمد هذا، كان قليل الإنصاف، وفي عهده تجرأت الحاضرة على البادية. ومع ذلك فإنه طول مدة الأمير أبي ماجد، ما حاربوا الأحساء ولا أغارت لهم عليها فرس»[2].

وفي هذه القصيدة يصف ابن مقرب والد مسعود بالعدل والإنصاف، فيقول:

لَـوْ عَـادَ وَالِـدُهُ حَيًّـا وَخَـاصَمَـهُ مُسْتَضْعَفٌ لَمْ يَحِفْ جَوْراً وَلَم يَمِلِ
كَمْ رَدَّ مَـظْلَمَـةً قَـدْ مَـاتَ ظَـالِمُهَـا وَلَمْ يُنَاقِشْ ذَوِي الدَّعْوَى وَلَمْ يَسَلِ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٨٤ - ٣٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤٧.

ولكنه في قصيدة في محمد بن محمد بن أبي الحسين أحمد يقول:

فَيَا بَا عَلِيٍّ يَا ابْنَ مَنْ فَاقَ مَجْدُهُ ... أَوَاخِرَ أَرْبَابِ الْعُلَا وَالْأَوَائِلَا
مَلَكْتَ فَسِرْ فيمَنْ مَلَكْتَ بِسِيرَةٍ ... تَسُرُّ مُقِيماً فِي ذُرَاكُمْ وَرَاحِلَا
وَكُنْ مِثْلَ مَا قَدْ كَانَ وَالِدُكَ الَّذِي ... تَلَقَّيْتَهُ وَاعْمَلْ بِمَا كَانَ عَامِلَا
وَأَدْرِكْ رَعَايَاً ضَيَّعَتْهَا رُعَاتُهَا ... وَرَاحَتْ لِضُبْعَانٍ وَذِئْبٍ أَكَايِلَا
فَأَنْتَ لَعَمْرِي بَيْنَ خَالٍ وَوَالِدٍ ... يُعِيدَانِ لِلْعَلْيَا سَنَاماً وَكَاهِلَا
أَبُوكَ الَّذِي لَمْ تَحْمِلِ الْخَيْلُ مِثْلَهُ ... إِذَا أَجْهَضَ الرَّوْعَ النِّسَاءَ الْحَوَامِلَا
مَضَى لَمْ يُدَنِّسْ عِرْضَهُ بِرَذِيلَةٍ ... وَلَا رَاحَ لِلْمَوْلَى وَلَا الْجَارِ خَاذِلَا[1]

وهنا تتلاقى الصور جميعاً في عطاء واحد هو شخصية محمد بن أبي الحسين، خاصة أن الأبيات تحمل حباً صادقاً لآل الفضل وعلى رأسهم محمد بن أبي الحسين أحمد، على حين أن مدائحه في آل أبي المنصور كانت، كما قرر ذلك شارح الديوان في مقدمته[2]، مصانعة واستدفاعاً.

ثم إن صورة إقبال بين عقيل بجيوش جرارة نجدها في قوله في قصيدة يقال إنها في محمد بن أبي الحسين أحمد:

سَائِلْ بِهِ يُخْبِرْكَ كُلُّ مُقَلِّصٍ ... نَهْدٍ وَكُلُّ مُثَقَّفٍ وَيَمَانِي
لَمَّا أَتَتْ أَهْلُ الْقَطِيفِ بِجَحْفَلٍ ... مُتَوَقِّدٍ كَتَوَقُّدِ النِّيرَانِ
فِي آلِ حَجَّافٍ وَآلِ شَبَانَةٍ ... مِثْلَ الْأُسُودِ بِحَافَتَيْ خَفَّانِ
نَزَلُوا عَلَى صَفْوَاءَ صُبْحاً وَابْتَنَوْا ... فِيهَا الْقِبَابَ وَأَيْقَنُوا بِأَمَانِ
وَتَسَرْبَلُوا حَلَقَ الْحَدِيدِ وَأَقْبَلُوا ... بِالْخَيْلِ وَالرَّايَاتِ كَالْعِقْبَانِ
فَغَدَتْ فَوَارِسُهُمْ لِمَا قَدْ عَايَنَتْ ... هَرَباً وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَى النِّسْوَانِ
فَرَمَى الْأَمِيرُ جُمُوعَهُمْ فَتَمَزَّقَتْ ... كَالشَّاءِ إِذْ جَفَلَتْ مِنَ السِّرْحَانِ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٠٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦، وانظر ص ٩.

وَتَحَكَّمَتْ فِيهِمْ حُدُودُ سُيُوفِهِ ضَرْباً فُوَيْقَ مَعَاقِدِ التِّيجَانِ
وَحَوَى ظَعَائِنَهُمْ وَأَحْرَزَ مَالَهُمْ غَصْباً وَأَنْزَلَهُمْ بِشَرِّ مَكَانِ
أَحْيَا نُفُوساً مِنْ رِجَالٍ قَدْ رَأَتْ آجَالَهَا بِالسَّيْفِ رَأْيَ عَيَانِ[1]

فالصورة هي الصورة نفسها في الأبيات الأولى، والمواقف هي المواقف نفسها فيها، حتى إن اللغة أيضاً تكاد تكون هي اللغة نفسها أيضاً.

ولعل دراسات مستقبلة تكشف عن وجود شخصية أخرى تدعى مسعود بن أبي الحسين أحمد، أو مسعود بن محمد بن أبي الحسين أحمد، على أن يضع الدارس في حسبانه علاقة مسعود بمحمد بن ماجد، ثم علاقته بمحمد بن مسعود الذي انطلق من الأحساء. وإلى جانب هؤلاء هناك منصور بن علي ومحمد بن محمد، اللذان تصارعا على الملك بعد قضاء منصور بن علي، على محمد بن مسعود في القطيف كما يذكر التاريخ[2]، وهي نتيجة تغاير ما نراه من أن محمد بن محمد من أسرة آل الفضل، وهو الذي قضى على محمد بن سعود. ومن الأبيات المحيرة في شعره، في هذا الصدد قوله في محمد بن محمد:

لَمْ يَرُحْ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ طِيلَةَ الدَّهْرِ صَائِلاَ[3]

فهو إما أن يكون محمد بن محمد بن أبي الحسين أحمد، وهو بهذا عم محمد بن مسعود، وهنا مسعود هو مسعود بن أبي الحسين أحمد، والد محمد بن مسعود أو محمد بن محمد بن منصور، وعلى هذا يكون منصور بن علي هو ابن علي بن محمد بن منصور، وتظل بعد ذلك القصيدة النونية في محمد بن أبي الحسين، التي يصف فيها زحف الأمير، موضع استفسار.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٦٢٠ ـ ٦٢١.
(٢) المديرس، الدولة العيونية، ص ١٣١، وانظر المخطوطة المرفقة بها، ص ٢١١.
(٣) ديوان ابن المقرب، ص ٤٠٠.

ولكن في القصيدة اللامية السابقة بعض الإشارات مثل:

وَعَـاشَ أَبْنَـاؤُكَ الْغُـرُّ الَّـذِينَ هُمُ فِي الْجُودِ وَالْبَأْسِ فِينَا غَايَةُ الْأَمَلِ[1]

ومثل هذا نجده في قول الشارح عن قصيدته الميمية: «وقال أيضاً في غرض له في زمان أبي القاسم، ويحض الأمير أبا القاسم بن محمد وأولاده...»[2]. وهو يخاطبه فيقول:

فَيَا بَا سِنَانٍ قُمْ فَأَنْتَ زَعِيمُهَا وَأَنْتَ مُرَجَّاهَا وَأَنْتَ هُمَامُهَا

ثم يقول:

وَحَوْلَكَ مِنْ أَبْنَائِكَ الصِّيدِ فِتْيَةٌ كَثِيرٌ لأَرْوَاحِ الْعَدُوِّ اخْتِرَامُهَا[3]

وهو يذكر ذلك عندما مدح ابنه الفضل في قصيدته اللامية فقال:

أَقَرَّ بِفَضْلِ الْفَضْلِ بَادٍ وَحَاضِرٌ وَسَاقَ إِلَيْهِ الشُّكْرَ حَافٍ وَنَاعِلُ

ثم يقول في أبنائه:

مُلُوكٌ هُمُ الشُّمُّ الرَّوَاسِي رَزَانَةً إِذَا مَا اسْتَخَفَّ الْحِلْمُ حَقٌّ وَبَاطِلُ
وَإِنْ نَهَضُوا يَوْماً لِحَرْبٍ رَأَيْتَهُمْ كَأَنَّهُمُ فَوْقَ الْجِيَادِ الأَجَادِلُ
نَمَاهُمْ إِلَى الْعَلْيَاءِ أَشْرَفُ وَالِدٍ تَقُومُ لَهُ بِالْمَأْثُرَاتِ الدَّلاَئِلُ
أَبُو الْقَاسِمُ الْمَلْكُ الَّذِي عُرِفَتْ بِهِ حِدَادُ الْمَوَاضِي وَالْعِتَاقُ الصَّوَاهِلُ[4]

ومن أبنائه الذين ذكرهم، وهو يمدحه، ماجد، يقول:

أَبُو مَاجِدٍ تِرْبُ الْعُلاَ وَرَبِيبُهَا أَبُوهُ الَّذِي تُهْدِي السَّرَايَا مَقَانِبُهْ[5]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٩١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٤٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ٥٧.

ومنهم أيضاً، المنصور، يقول في قصيدته الميمية الأخرى:

فَـإِلَيْـكَ أَبَـا الْمَنْصُـورِ عَقْـدُ لآلِـي الـدُّرِّ الْمُـنْتَـظِمِ[1]

ووفق هذه النتيجة، وعلى الرغم من التضارب الملحوظ في القصيدة، فإنه يمكن قبول القصيدة فيه.

٣ ـ الفضل بن مسعود بن محمد (؟):

يقول شارح الديوان: «تولى الأمير أبـو القاسم البـلاد. . . . وامتدح ولده الأمير الفضل بن مسعود بقصيدة أول دولته. .»[2].

وإذن، فقد حكم الفضل بعد أبيه مسعود وامتدحه ابن مقرب بقصيدته التي مطلعها.

رُوَيْدَكَ يَا هَذَا الْمَلِيكُ الْحُـلاَحِلُ فَمَا الْمَجْدُ إِلاَّ بَعْضُ مَا أَنْتَ فَاعِلَ

وقد تفاءل بمجيئه وأثنى على حكمته وعـدالته، خـاصة في تـطبيق الشريعة، يقول:

وَقُمْتَ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فَاسْتَوَتْ لَدَيْكَ ذُوُو الْأَجْيَـالِ طَيٌّ وَوَائِلُ

وأهم حادثة سجلها شعره فيه هي حادثة درب الحنائد التي تصدى فيها الأمير لإحدى الغارات، فهزم المعتدين، فولوا هاربين. يقول في ذكرى هذه الحادثة:

أَغَـارَتْ عَلَى دَرْبِ الْحَنَـائِـدِ غَـارَةً يَطِيرُ الْحَصَـا مِنْ وَقْعِهَا وَالْجَـرَاوِلُ
لَهَـا فَيْلَقٌ بِالْجَـوِّ ذِي النَّخْلِ كَـامِنٌ وَرَيْعَـانُهَـا لِلْمَسْجِـدِ الْفَـرْدِ شَـامِـلُ
وَطَـارَدَتِ الْفِتْيَـانَ فِيهَـا وَأَظْهَـرَتْ كُنَـاهَـا وَكُـلٌّ عَـارِفٌ مَنْ يُجَـادِلُ
فَوَلَّتْ حُمَاةُ الْقَـوْمِ خَيْلاً وَلَمْ تَـزَلْ بَنُو الْحَرْبِ فِي يَوْمِ التَّلاَقِي تُحَاوِلُ
فَـرَاحَتْ عَلَيْهَا الْخَيْـلُ فَانْبَعَثَتْ لَهَـا جَحَـافِـلُ جَمْـعٍ تَقْتَفِيهَـا جَحَـافِـلُ

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٨٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩.

فَحَاصَتْ حِذَارَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ خَيْلُهُ وَسُمْرُ الْقَنَا فِيهِنَّ صَادٍ وَنَاهِلُ
فَأَوْرَدَهَا صَدْرَ الْحِصَانِ كَأَنَّمَا لَهُ الْمَوْتُ جُنْدٌ بِالْمُعَادِينَ كَافِلُ
وَعَاجَلَ طَعْناً سَيِّدَ الْقَوْمِ فَاغْتَدَوْا وَقَدْ عَافَ كُلٌّ مِنْهُمُ مَا يُحَاوِلُ
بِهَا رَدَّ أَرْوَاحَ التَّوَالِي وَقَدْ غَدَتْ إِذَا ثَارَ مِنْهُمْ رَاجِلٌ طَاحَ رَاجِلُ[1]

ومع ذلك، فلم يحمد طريقته، ولا رضي سيرته، لأنه عاث في أملاك ذوي القربى وأعطى الغُرْبَ (الغرباء) بساتين نسبه الأدنى، فعاتبه على ذلك بشعر طويل، وعتاب غير قليل وازداد لما وقع ضيق صدره، وخرج إلى العراق»[2].

ومع ذلك فالواضح أن مدة حكم الفضل هذا كانت قصيرة جداً، قد لا تتجاوز السنة الواحدة، ويبدو أنه توفي، أو أنه مات مقتولاً، لأنه لم يظهر على الساحة السياسية بعد ذلك.

ويلاحظ أنه ليس في شعره غير هذه القصيدة في فضل بن مسعود، ولم يذكر المديرس هذه الشخصية، وذهب قليقلة، إلى أنها في الفضل بن محمد بن أبي الحسين أحمد[3]، وعدَّه العبد القادر آخر الحكام العيونيين في الأحساء[4]، إلا أن العمران خلط بين فضل هذا وفضل بن محمد بن أبي الحسين عندما قال إن ابن مقرب مدح فضلاً هذا بقصيدتين[5]. على حين نص شارح الديوان أنه لم يمدحه إلا بقصيدة واحدة. أما شعره الآخر، فعتاب. ولا يوجد هذا العتاب في الديوان، وكل قصائده الأخرى في الفضل بن محمد بن أبي الحسين مدحاً وعتاباً.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٤١ ـ ٣٥٠. الجراول: الحجارة، أو الأرض ذات الحجارة. المسجد: مسجد الجعلانية المعروف باسم مسجد الأميرة. جحافل: جيوش. حاصت: عدلت وتراجعت. الصادي: العطشان. الناهل: الريان. التوالي: مآخير الخيل، أو الذنب والرجلان. راجل: ماش على قدميه.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩.

(٣) التجربة الشعرية، ص. ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٤) تحفة المستفيد، جـ ١ ص ١١٦.

(٥) ابن المقرب، ص ٥٧.

٤ ـ أبـو منصـور علي بن مـاجـد بن محمـد بن مـنصـور بـن علي (؟ ٦١٨ هـ/١٢٢١ م):

ذكر شارح الديوان أن ابن مقرب سافر إلى الموصل عندما خرج علي بن ماجد وتولى مقدم بن غرير، سنة ٦١٨ هـ. وذكر ياقوت، أنه التقى ابن مقرب في الموصل سنة ٦١٧ هـ[١]. وهذا يعني تقارب تواريخ الحكام المذكورين هنا: مسعود، وفضل، وعلي، ومقدم.

ومع أنه مذكور في الديوان على أنه ينتمي إلى آل أبي المنصور، إلا أن العمران[٢]، يرى أنه ينتمي إلى آل الفضل.

ويقول شارح الديوان: «وكانت السلطة بـالبحرين قـد ضعفت وساء تدبيرها، وذلك أنهم صاروا يقدمون قوماً...»[٣].

وتكشف هذه العبارة عن طبيعة ذلك التغيير السريع الذي كان يطرأ على كراسي الحكم في الأحساء. فما إن يتولى أمير حتى يزهد الناس فيه، فيستبدلونه بغيره. وهكذا جاء علي، الذي لم يختلف عن سابقيه إلا في الزهد وكراهية الحرب والشقاق، مما حقق الاستقرار وأعاد الطمـأنينة إلى البلاد، بعد أن كان الاقتتال بين أبناء العشيرة الـواحدة هـو الطابـع العام للحكام. يقول في مجيئه إلى الحكم:

وَلَمَّـا تَـوَلَّى الْمُلْكَ بَـاءَ مُشَمِّـراً بِأَعْبَائِهِ مِنْ غَيْرِ لَهْثٍ وَلَا بُهْـرِ[٤]

فأصحاب الرأي في الأحساء هم الذين جاؤوا به، فوافقهم على هذا، إذ وجـدوا في بلوغه حـوالي الخمسين سنة، مـا يؤهله لتولي الملك في الأحساء، يقول في ذلك:

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤، ص ١٨١.
(٢) العمران، ابن المقرب، ص ٤٧.
(٣) ديوان ابن المقرب، ص ٦٣١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٣. البهر: انقطاع النفس من الإعياء.

هُمَّامُ تَعَدَّى الأربعين فَجَازَهَا بِعَشْرِ سِنِينٍ أَوْ قَرِيباً مِنَ الْعَشْرِ[1]

وكان لسلوك علي وتسامحه الأثر البالغ في بلوغه تلك المكانة، يقول في زهده:

عَلاَ فِي النَّدَى أَوْسَا وَفِي الزُّهْدِ وَالتُّقَى أُوَيْساً وَفِي الْحِلْمِ ابْنَ قَيْسٍ أَبَا بَحْرِ

ويقول في تسامحه:

وَعَفَّ فَلَمْ يَمْدُدْ إِلَى مُسْلِمٍ يَداً بِسُوءٍ وَلاَ بَانَتْ لَهُ عَقْرَبٌ تَسْرِي[2]

وتقدم لنا الأبيات التالية وصفاً دقيقاً للفترة التي حكم فيها علي، وهي فترة أبرز مظاهرها نشر العدالة والأمن، خاصة في حيازة الأموال والممتلكات حتى شبهه ابن مقرب بعمر بن الخطاب رضي الله عنه (وإن يكن ذلك ظاهرياً):

أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَبَعْدَمَا قَامَتْ بَوَاكِيهَا تَنُوحُ وَتَنْدُبُ
وَمَنَعْتَهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ سُدًى فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تُغَارُ وَتُنْهَبُ
وَمَلأْتَهَا عَدْلاً وَكَانَتْ عُمِّمَتْ جَوْراً تَغُورُ بِهِ الدِّيَارُ وَتُخْرَبُ
وَرَفَعْتَ عَنْهَا الْمُؤْذِيَاتِ وَطَالَمَا رَاحَ الْبَلاَ فِي جَوِّهَا يَتَصَبَّبُ
حَتَّى كَأَنَّكَ وَالْمُشَبِّهُ صَادِقٌ عُمَرٌ بِهَا وَكَأَنَّهَا لَكَ يَثْرِبُ
نَامَ الْغَنِيُّ وَكَانَ قَبْلَكَ لاَ يَنِي خَوْفَ الْمَظَالِمِ سَاهِراً يَتَقَلَّبُ
وَمَشَى الْفَقِيرُ ضُحًى وَهَوَّنَ آمِناً بِالإِلْتِفَاتِ وَأَسْفَرَ الْمُتَنَقِّبُ[3]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

أوس: أوس بن حارثة الطائي، أحد سادات العرب وأجوداهم.

أويس: أويس بن عامر المنقري، تابعي عابد ناسك.

أبو بحر بن قيس: الأحنف بن قيس، أحد من يضرب به المثل في الحلم.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٩ ـ ٩٠، لايني: لا يفتر.

ومع كل ذلك فإن ابن مقرب ما زال يحذر من مغبة الاستسلام في بقية القصيدة[1]. وعلى الرغم من هذا الكيل من المديح، فإن المدة التي حكم فيها علي بن ماجد لا تسمح بكل ذلك، وإنما كان مدحه هذا رهبة ورغبة كما قال شارح الديوان. ولعل زيف هذا المديح ينعكس على النتيجة التي آل إليها علي بن ماجد، فقد أخرجه أهل الأحساء، وجاؤوا برجل غريب عن حياة الحضر، رجل عاش في البادية، ليس من آل الفضل وليس من آل المنصور.

أمراء آل الحسن:

٥ ـ مقدم بن غرير بن الحسن بن شكر بن علي بن عبدالله (٦١٨ هـ/١٢٢١ م؟):

جاء أعيان الأحساء، وعلى رأسهم أبو علي إبراهيم بن عبد الله بن غرير بن إبراهيم بن أبي جروان، بمقدم هذا من البادية، ولم يكن ذا علاقة بالمدينة وسكانها. وساعد على تدمير البلاد تدافع البادية إلى المدينة ونهب خيراتها والتطاول على أمرائها، حتى أوشكت السلطة أن تخرج كلية من يد العوينيين[2]، لولا قيام الأمير محمد بن مسعود باستلام زمام السلطة في البحرين.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٣١، وانظر ص. ص ٦٣١ ـ ٦٤٢.

الفصل الثامن
بين التوحيد والسقوط

آل الفضل:

عماد الدين أبو علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد (؟ - ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م):

تعاقب على حكم الإمارة العيونية في الأحساء حكام ظلوا عاجزين عن بسط نفوذهم على غير الأحساء، وذلك بعد أن دب التنافس والبغضاء فيما بين أبناء الأسر الحاكمة في القطيف وأوال والأحساء. ولم يَحُلْ ظهور شخصية محمد بن أبي الحسين القوية دون عودة الانقسامات بعد وفاته، ولكن الملحوظ أن هناك رغبة مستمرة في توحيد البلاد وإخضاعها تحت نفوذ وحد، كان أغلبه قادماً من الأحساء باتجاه القطيف وأوال. وهذا ما سوف نراه هنا مع إحدى الشخصيات البارزة، التي حاولت أن تحقق ذلك.

قال ابن مقرب في محمد بن مسعود قصيدتين هما قصيدته:

بَعَثْتْ تُهَدِّدُ بِالنَّوَى وَتُوَعِّدُ مَهْلاً فَإنَّ الْيَوْمَ يَتْبَعُهُ غَدُ[1]

وقصيدته:

صُعُودُ الْعُلاَ إلاَّ عَلَيْكَ حَرَامُ وعَيْشٌ سِوَى مَا أَنْتَ فِيهِ حِمَامُ[2]

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ١٦٠ - ١٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٤٧٣ - ٤٨٤.

ولكن الديوان يقدم قصيدة أخرى غير هاتين، مطلعها:

أَنِخْ فَهَذِي قِبَابُ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ وَقِلْ فَكُلُّ الْعُلاَ فِي هٰذِهِ الْخِيَمِ[1]

ويقدم لها شارح الديوان قائلاً: «وله يمدح أبا علي مسعود بن أحمد بن محمد بن الفضل». فإذا قرأنا القصيدة، وجدناه يقول:

هَذَا الْهُمَامُ عِمَادُ الدِّينِ أَكْرَمُ مَنْ يُدْعَى وَيُرْجَى وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمُ

ويقول:

لِلَّهِ دَرُّ عِمَادِ الدِّينِ مِنْ مَلِكٍ مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ[2]

وفي تقديم شارح الديوان لقصيدته الدالية، يقول: «وقال يمدح الأمير عماد الدين أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد»[3]، كما قدم لقصيدته الميمية فيه بقوله: «وقال يمدح الأمير عماد الدين أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين محمد..»[4].

وإذ يضطرب التاريخ في تحديد شخصية محمد بن مسعود الذي كان يحكم الأحساء، ويكتفي بذكر أخوين، هما حسن وحسين، لشخصية أخرى تدعى محمد بن مسعود أيضاً تحكم القطيف، كما سنرى، فإن ديوان ابن مقرب لم يورد إلا الحسن والحسين على أنهما أخوة لمحمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد، فقد قال في الحسين قصيدته:

أَرَاهُ الْهَوَى مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ فَأَقْلَقَهُ عَنْ صَبْرِهِ وَاحْتِسَابِهِ[5]

وفيها يقول عن نسبه إلى مسعود بن محمد:

كَجُودِ ابْنِ مَسْعُودِ الْفَتَى الْوَاهِبِ اللُّهَا وَمُخْجِلُ مُنْهَلِّ الْحَيَا فِي انْسِكَابِهِ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٥٤. قل: فعل أمر من قال، أي نام وقت القيلولة.
(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠. الصحيح أنه أبو الحسين أحمد
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٧٣.
(٥) المصدر نفسه، ص. ص ١٠٠ ـ ١٠٤.

ويقول:

كَمِثْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَهَيْهَاتَ مِثْلُهُ إِلَى حَيْثُ يَدْعُو الْخَلْقَ دَاعِي حِسَابِهِ

أما عن نسبه إلى آل الفضل فيقول:

تَقَبَّلَ فَضْلاً ذَا الْعُلَا وَمُحَمَّداً فَمَالَهُمَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ مُشَابِهِ

وفضل، هو فضل بن عبد الله بن علي، ومحمد هو محمد بن فضل، ابنه، ثم هو من آل الفضل:

نَمَاهُ إِلَى الْعَلْيَاءِ فَضْلُ وعَبْدَلٌ وَلَوْ أَدْرَكَاهُ الْيَوْمَ لَافْتَخَرَا بِهِ

بل هو تحديداً من آل أبي سنان، وأخواله من بني عقيل:

وَخَيْرُ عُقَيْلٍ كُلِّهَا حِينَ يَنْتَمِي خَؤُولَتُهُ بِالصِّدْقِ لَا بِكِذَابِهِ
وَلَا خَالَ إِلَا دُونَ مَنْ كَانَ جَدُّهُ سِنَانٌ مَحَلُّ الضَّيْفِ رَحْبُ جَنَابِهِ

وكما ذكرنا سابقاً، فإن بني عقيل، أكثر ارتباطاً بالقطيف من الأحساء.

وأشهر صفات الحسن، هي التدين والحرص على تطبيق الشريعة، يقول داعياً له بذلك:

وَعَزَّ بِهِ الدِّينَ الْحَنِيفَ وَحُلِّلَتْ مَحَارِمُ دَارِ الشِّرْكِ حُمْرُ قِبَابِهِ

وفي القصيدة الميمية يقول:

يَا آلَ فَضْلٍ أَمَاتَ اللَّهُ حَاسِدَكُمْ بِغَيْظِهِ وَكَفَاكُمْ زَلَّةَ الْقَدَمِ[1]

فهو من أسرة آل الفضل، أي من أسرة محمد بن أبي الحسين أحمد.

وقد بين نسبه على أنه محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن فضل، فقال فيه:

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٦٠ .. ٥٦١.

خَلَفَ الْأَمِيرُ أَبَا سِنَانٍ جَدَّهُ فِي قَوْمِهِ وَهْوَ الْجَوَادُ الْأَمْجَدُ[1]

وقال:

حَاشَا ابْنَ مَسْعُودٍ الْمَلِكَ الْمُعَظَّمَ أَنْ أُجْفَى وَيُقْفَى بَنُو الدَّايَاتِ وَالْخَدَمِ
فَتًى نَمَاهُ إِلَى الْعَلْيَاءِ كُلُّ فَتًى حَامِي الذِّمَارِ وَفِيِّ الْعَهْدِ وَالذِّمَمِ
مَنْ مِثْلُ مَسْعُودٍ الْقَرْمِ الْهُمَامِ وَمَنْ كَأَحْمَدَ الْمُرْتَجَى فِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ
وَمَنْ يُبَارِي ابْنَ فَضْلٍ فِي مَكَارِمِهِ أَبَا سِنَانٍ غِيَاثَ النَّاسِ فِي الْقُحَمِ[2]

وينادیه بكنيته فيقول:

يَا بَاعَلِيٌّ أَجِبْ مِنْ غَيْرِ نَأْنَأَةٍ صَوْتَ امْرِىءٍ فِي عُلَاكُمْ غَيْرِ مُتَّهَمِ[3]

فمحمد، إذن، هو محمد بن مسعود، وهو من آل الفضل، من أسرة أحمد بن أبي الحسين، وهو أبو علي، وهو أيضاً عماد الدين.

أما عن حسين بن مسعود، فنجد الصورة نفسها تقريباً، إضافة إلى أن شارح الديوان قدم لها بأنها في حسين بن مسعود بن أبي الحسين أحمد[4].

يقول في نسبه:

كُنْ كَابْنِ مَسْعُودٍ حُسَيْنٍ فِي النَّدَى وَالْبَأْسِ أَوْ فَعَنِ الْمَكَارِفَاعْدِلِ[5]

وفي نسبه إلى آل الفضل يقول:

مِنْ مَعْشَرٍ بِيضِ الْوُجُوهِ أَعِزَّةٍ جُرْ يَا مُجَاوِرَهُمْ بِهِمْ أَوْ فَاعْدِلِ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٦٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦٠ ـ ٥٦١. يقفى: قفاه عليه، فضله. القحم: الأمور الشاقة والمصاعب.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤١٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤١٣.

فَضْلٌ أَبُوهُمْ وَالْمُعَظَّمُ عَبْدَلُ مَنْ مِثْلُ فَضْلٍ فِي الْفَخَارِ وَعَبْدَلِ
وَإِذَا عَدَدْتَ أَبَا سِنَانٍ وَابْنَهُ وَابْنَ ابْنِهِ فَاشْرَبْ خَصِيمَكَ أَوْكُلِ (١)

فهو أيضاً حسين بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن فضل بن عبد الله. وفي دلالة صريحة على أن الحسين من أسرة أبي الحسين أحمد يقول:

وَتَبِيتُ جَارَتُهُ وَلَمْ يَرْفَعْ لَهَا كِسْراً بِعِلَّةِ قَائِلٍ مُتَضَلِّلِ
يُغْضِي إِذَا بَرَزَتْ وَيَخْفِضُ صَوْتَهُ عَنْهَا فِعَالَ النَّاسِكِ الْمُتَبَتِّلِ
لَمْ يَنْطِقِ الْعَوْرَاءَ قَطُّ وَلَا اصْطَفَى نَذْلاً وَلَا أَصْغَى لِقَوْلِ مُضَلِّلِ (٢)

ومن الواضح أن محمد بن مسعود كان في الأحساء، وليس في القطيف. يقول ابن مقرب:

أَعْطَتْهُ مَمْلَكَةُ الْأَحْسَاءِ هِمَّتَهُ وَعَزْمُ مُسْتَبْصِرٍ بِالرَّأْيِ غَيْرُ عَمِ
فَإِنْ يَقُولُوا اخْتِيَاراً كَانَ ذَاكَ فَهَلْ يُخْتَارُ لِلضَّرْبِ غَيْرُ الصَّارِمِ الْخَذِمِ (٣)

وهذا يدل على أن أعيان الأحساء اختاروه، كما اختاروا من قبله عليَّ بن ماجد، ومقدَّماً، ولم يلبث محمد في الحكم طويلاً حتى قرر المسير إلى القطيف والاستيلاء عليها، يقول:

فَغَيْرُ لأْيٍ وَزَجَّاهَا مُلَمْلَمَةً تَدَافُعُ السَّيْلِ سَيْلَ الْيَأْمَنِ الْعَرِمِ
فَمَا أَنَاخَتْ إِلَى أَنْ غَالَ عِثْيَرُهَا مَا شِيدَ بِالْخَطِّ مِنْ حِصْنٍ وَمِنْ أُطُمِ
وَمَا نَضَا الدِّرْعَ حَتَّى حَازَ حَوْزَتَهَا قَهْراً وَآخَى بِهَا الْأَحْسَاءَ مِنْ أَمَمَ
وَلَمْ يَمُدَّ إِلَى هُرْمُوزَ مِنْهُ يَداً وَحَارِكٌ لَمْ يَمُدُّوا كَفَّ مُعْتَصِمِ (٣)

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤١٩. (٢) المصدر نفسه، ص ٤١٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥٩. الصارم: السيف. الخذم: القاطع. اللأي: البطء. زجاها: دفعها. ململمة: مجتمعة مضمومة. نضا: خلع. غال: غاله أهلكه وأخذه من حيث لا يدري. العثير: التراب والعجاج. الأطم: القصور. الأمم: القرب. حارك أو جارك أو خارك: جزيرة على الساحل الإيراني ليست بعيدة عن قشم (الجسم).

وبهذا التحرك السريع استطاع محمد أن يُوحِّد بالقوة (قهراً)، شطري الإقليم المنفصلين: الأحساء والقطيف. وبهذا تم توحيد البلاد، وتحصينها من التهديد الخارجي الآتي من الساحل الشرقي للخليج. وهذا ما أكده ابن مقرب بطريقة أخرى في قوله:

أَبَتْ عِـزَّةٌ أَنْ تَقْبَـلَ الضَّيْمَ نَفْسُـهُ وَذُو الْعِـزَّةِ الْقَعْسَـاءِ كَيْفَ يُضَـامُ
وَآلَى وَلَمْ يَسْتَثْنِ أَنْ ضَـاعَ نَبْلُهُ وَلَـوْ حَـالَ عَـامٌ دُونَ ذَاكَ وَعَـامُ[1]

مما يعني أن توحيد البلاد تطلب مدة ما من الزمن حتى يعد الجيوش ويتهيأ أهالي الأحساء لذلك الإقدام.

أما كيف وصل رجل من عائلة آل الفضل إلى حكم الأحساء، فإن ابن مقرب لا يكشف لنا عن ذلك، غير تلك الإشارات السابقة. ولكنه يقول:

أَعْطَى اللُّهَى وَعَلَتْ فِي الْمَجْدِ هِمَّتُهُ قَبْـلَ اخْتِـطَاطِ عِـذَارٍ وَاثِّغَـارِ فَمِ
وَقَـادَهَـا لِتَمَـامِ الْعَشْـرِ تَحْسِبُهَـا آذِيَّ بَحْـرٍ زَفَتْهُ الـرِّيحُ مُلْتَـطِمِ[2]

فمحمد يتمتع بروح قيادية، وبشجاعة فائقة أثبتت قدراتها منذ كان صغيراً، وربما عاد ذلك إلى أخواله، ويعني ذلك أيضاً أن بني عامر، الذين ينتمي إليهم بنو عقيل، أخواله أيضاً، وهو ما أهلَّه لهذه الزعامة والانتخاب.

ومما يدل على أن محمد كان في الأحساء قوله فيه:

فَخَيْرٌ مِنَ الْأَحْسَاءِ إِنْ دَامَ عَتْبُكُمْ أُشَـيٌّ وَوَادِي مَلْهَـمٍ وَنَـعَـامُ[3]

ومن هنا، فإن حكمه الأحساء لا بدّ أن يكون سابقاً على ذلك، أي

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٧٧. الضيم: الظلم. القعساء: الثابتة. آلى: أقسم.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥٨. اختطاط: اختط، نبت. العذار: الشعر النابت على جوانب اللحية. آذي: الموج. زفته: طردته.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨١.
أشي: موضع باليمامة بوادي الوشم. فيه نخيل.
ملهم: قرية من قرى اليمامة. نعام: واو باليمامة.

بُعَيد تنصيب مقدم بن غرير أميراً على الأحساء سنة (٦١٨ هـ/١٢٢١ م)، ولذلك احتاج إلى وقت ليس باليسير حتى استطاع استرجاع القطيف وأوال سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦ م[١] وهذا بيِّن من قوله:

يَا فَرْحَةَ الْبَحْرَيْنِ مُـذْ خَفَقَتْ بِهَا أَعْـلَامُهُ وَغَـدَتْ تَغُورُ وَتُنْجِـدُ[٢]

فهذا البيت صريح الدلالة جداً على تلك السيطرة، فقوله: «خفقت بها أعلامه»، يعني تحركه بجيوش كثيفة نحو جميع أجزاء البحرين: (القطيف وأوال)، وقوله: «تغور وتنجد»، يعني عدم اكتفائه بالحدود الرئيسة للبلاد، بل راح يخوض معارك طاحنة داخل الصحراء.

وتعبير ابن مقرب بالفرحة، إنما هو تعبير عن فرحته هو نفسه.

لقد كان استعداد محمد استعداداً عسكرياً كبيراً بحيث قرن قوته بقوة ذي القرنين، وما ذاك إلا تحسباً لمواجهة تلك الهجمات، يقول:

جَمَـعَ الْأَمِيـرُ لَهُمْ جُنُـوداً لَـوْ رَمَتْ شُهْبَ النُّجُومِ لَزَالَ مِنْهَا الْأَسْعَدُ[٣]

ولكن من الصعب على مثل هذه الشخصية، مهما كان استعدادها وقوتها، أن تصمد لمثل تلك الأوضاع الهشة، فهناك من يحاول منافسته ومضايقته، كما يقول ابن مقرب:

وَكَيْفَ تُغَـالِـكَ السِّيَـادَةَ مَعْشَـرٌ سَهِرْتَ لَهَا اللَّيْلَ الطَّوِيلَ وَنَامُوا[٤]

فهم يدبرون المكائد ويحيكون المؤامرات للتخلص منه، يقول:

فَيَا مُفْرِغاً فِي كَيْدِهِ جُهْدَه وَنَفْسِهِ لَخَيْـرٌ مِنَ السَّعْيِ الْغَـوِيِّ نُـوَامُ

(١) المديرس: الدولة العيونية. ص ١٣١، وهو يذهب إلى أن محمداً كان في القطيف ولم يشر إلى استيلائه على الحكم في الأحساء. وذلك موافقة لصاحب المخطوطة المرفقة في رسالته، ص ٢١٠. ثم إنه يذكر أن ذلك الاستيلاء كان سلماً لا حرباً.

(٢) ديوان ابن المقرب، ص ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٧٤.

وَيَا طَامِعاً فِي نَيْلِ مَا نَالَ مِنْ عُلاً مَتَى صَدَقَ الظَّنَّ الْكَذُوبَ مَنَامُ
وَيَا بَاسِطاً كَفًّا لِإِدْرَاكِ شَأْوِهِ بِكَفِّكَ فَاضْمُمْهَا إِلَيْكَ جُذَامُ
وَيَا مُضْمِراً بَغْضَاءَهُ جُنَّ أَوْ فَمُتْ فَدَاؤُكَ لَا عُوفِيتَ مِنْهُ عُقَامُ[1]

وعلى العموم، فقد استطاع محمد تسيير دفة الحكم بعض الزمن، فعيَّن أخويه: حسيناً الذي تمتع بخصال دينية حميدة، وحسناً، أميرين على القطيف وأوال، واستقر هو في الأحساء[2].

ولكن هذه الوحدة لم تدم، إذ ثار عليه محمد بن محمد بن أبي الحسين أحمد وانتزع القطيف منه. يقول ابن مقرب:

لَمْ يَرُحْ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ طِيلَةَ الدَّهْرِ صَائِلاَ[3]

وهذا البيت دليل أكيد على أن محمد بن مسعود من أسرة آل الفضل، إذ إن التعبير هنا تعبير حقيقي عن النسب، في ضوء ما قدمنا؛ على الرغم من أن محمد بن محمد بن أبي الحسين هو ابن عم محمد بن مسعود بن أبي الحسين، كما هو منصوص عليه هنا، أما محمد بن مسعود، ففيه يقول:

وَأَبُوهُ مَسْعُودُ الطِّعَانُ وَعَمُّهُ ذُو الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ الْأَعَمُّ مُحَمَّدُ[4]

أي إن مسعود أخو محمد بن أبي الحسين أحمد، ويقول:

وَرِثْتَ الْعُلاَ عَنْ أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ وَفَضْلٍ وَكُلٌّ فِي الْعَلاَءِ إِمَامُ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٤٧٨ ـ ٤٧٩. الغوي: الضال. نوام: مرض النوم. شأوه: غايته. الجذام: مرض الجذام. العقام: مرض لا يشفى منه.

(٢) نرجح هذا لأن ابن مقرب كان وثيق العلاقة بالقطيف، وقد مدح حسينا، وحسنا، انظر ديوان ابن المقرب، ص. ص ١٠٠ ـ ١٠٤، ٤٠٣ ـ ٤١٣، وجاء في المخطوطة المرفقة برسالة المديرس، الدولة العيونية ص ٢١٠.

«... ملك الأمير محدم بن مسعود وأخواه حسن وحسين مدة سنتين ونصف...».

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

وَإِنَّ لِمَسْعُـودٍ إِذَا اشْتَجَـرَ الْقَنَـا لَـطَعْنٌ يَـرُدُّ الْجَيْشَ وَهْـوَ لُهَـامُ[1]

أي هـو محمـد بن مسعـود بن أبي الحسين أحمـد بن أبي سنـان محمد بن فضل. وعلى الرغم من هذا، فإن الخضيري يذكر أن محمد بن مسعود كان يحكم الأحساء فقط لا القطيف[2]، على خلاف المديـرس، الـذي يذكـر أنه حكم القـطيف لا الأحساء[3]. والاثنـان يتفقان على أن محمد بن محمد كان آخر الأمراء العيونين، ويحـدد المديـرس حكمه في القطيف فقط. وكما بينا فإن محمـد بن مسعود، هـو الرجـل الذي حقق الوحدة انطلاقاً من الأحساء. ومن ذهب إلى أنه كان من حكام الأحساء، جعله من آل أبي المنصور، وابنا لمسعود بن محمد بن منصور بن علي بن عبد الله، وقد بينا رأينا في ذلك فيما مضى.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٧٤.
(٢) علي ابن المقرب، ص ١٣٣.
(٣) الدولة العيونية، ص ١٣١.

obeikandl.com

آخر الأمراء العيونيين:

عماد الدين أبو علي محمد بن محمد بن أبي الحسين أحمد (٦٢٧ هـ/ ١٢٣٠ م - ٦٣٠ هـ/١٢٢٣ م):

رأينا كيف اقتسم آل الحسن وآل أبي المنصور البلاد فيما بينهم، ثم ما مر من صراعات بين آل الفضل وآل أبي المنصور، حتى أصبحت علامات زوال الإمارة ظاهرة للعيان نتيجة هذا التطاحن على السلطة، ولم تكن الأوضاع تهدأ بظهور شخصية قوية، حتى تعود مرة أخرى إلى التغيير والتبدل. ولم يحل ظهور أبي علي محمد بن مسعود دون النهاية المحتومة، إذ تحرك ضده عماد الدين أبو علي محمد بن محمد بن أبي الحسين أحمد، وهو أحد أمراء بيت آل الفضل أيضاً، وانتزع القطيف منه.

ورد هذا الاسم في التقديم لقصيدته التي مطلعها:

لِذَا الْيَوْمِ أَعْمَلْتُ الْقِلاَصَ الْعَبَاهِلَا وَأَبْقَيْتُهَا تَحْكِي الْحَنَايَا نَوَاحِلَا(١)

وفيها ذكر ابن مقرب كنيتيه أبا علي وعماد الدين، يقول:

وَلَمْ يَبْغِ فِيهِ مُسْعِداً غَيْرَ نَفْسِهِ وَمِثْلُ عِمَادُ الدِّينِ يَكْفِي قَبَائِلَا

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٣٩٥- ٤٠٥. القلاص: جمع قلوص، وهي الناقة النجيبة السريعة. العباهلا: الإبل المهملة.

ويقول:

بَقِيتَ لَنَـا يَـا بَـاعَلِيٍّ لِنَقْتَـضِي بِكَ الثَّأْرُ مِنْ أَيَّامِنَا وَالـطَّوَائِلَا[1]

وقد استطاع محمد هذا امتلاك القطيف، يقول:

فَمَا حَلَّ عَقْدَ السَّيْفِ حَتَّى أَنَاخَهَا ضُحًى بِعِذَارِ الْخَطِّ حَدْبَاءَ نَاحِلَا

فـالخط، القطيف، ليست المنـطلق الأساسي لـه، وإنمـا المنـطلق الأساسي له هو:

أَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَرْضِ الشَّوَاجِنِ يَخْتَطِي حَـرَابَّي أَجْوَازِ الْفَـلَا وَالْخَمَائِـلَا

وذلك:

وَقَبْـلَ أَذَانِ الْعَصْرِ نُـودِي بِمُلْكِهِ نِدَاءً أَرَانَا الـدَّهْرَ يَفْتَـرُّ جَاذِلَا[2]

ويبدو أن أرض الشواجن مكان في البرية.

أما كيف استولى محمد على ملك القطيف، فإن ابن مقرب يقول:

وَلَوْ لَمْ يَخَفْ أَنْ يَذْهَبَ الْمُلْكُ لَمْ يَرُحْ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ مُدَّةَ الدَّهْرِ صَـائِلَا[3]

فحسبما يدعي ابن مقرب، فإن محمداً تحرك لإنقاذ الملك، وكان ذلك التحرك بتشجيع وتحريض من أخواله في القطيف، آل المفدى، وعلى رأسهم حسيـن وغزوان، يقول:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٥. الطوائلا: العداوات.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠. حدباء: ضامرة. الحرابي: جمع الحرباء، وهي دويبـة تستقبل الشمس بـرأسها وتـدور معها أينمـا دارت، وتتلون ألوانـاً بحر الشمس. يفتر: يبتسم. جاذلاً: فرحاً.

(٣) ديوان ابن المقرب، ص ٤٠٠.

وَمَنْ يَدَّعِي خَالاً كَخَالِكَ يَدَّعِي مُحَالاً وَإِفْكاً مُسْتَحِيلاً وَبَاطِلاَ
وَمَنْ كَحُسَيْنٍ إِنْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ تُرِيكَ الْبَلِيغَ النَّدْبَ فَدْماً مُوَائِلاَ

ثم يقول:

وَمَا بَرِحُوا آلَ الْمُفَدَّى لِجَارِهِمْ وَلِابْنِ أَخِيهِمْ حَيْثُ كَانُوا مَعَاقِلاَ
وَغَزْوَانَ فَاحْفَظْ وُدَّهُ وَاحْتَفِظْ بِهِ تَجِدْ سَيْفَ عَزْمٍ فِي مَرَاضِيكَ فَاصِلاَ[1]

ولا يمدنا ديوان ابن مقرب بأحداث أخرى عن الإمارة العيونية، على الرغم من أن التاريخ يذكر أن محمداً هذا استمر حتى سنة ٦٣٦ هـ/١٢٣٩ م، يحكم أوالَ بعد أن انتُزِعت منه القطيف[2].

وعلى الرغم من أن التاريخ يجعل محمداً من أسرة آل أبي المنصور، فهو هناك: محمد بن محمد بن ماجد بن محمد بن منصور الذي ثار على منصور بن ماجد بن محمد بن منصور، الذي استولى على الملك من يد محمد بن سعود وأخويه في القطيف سنة ٦٢٦ هـ/١٢٢٨ م[3]، فإن محمد بن محمد بن ماجد على هذا ليس ابن أخ منصور بن ماجد، بل منصور عمه. ثم إن آل المفدى من سكان القطيف[1]. وشارح الديوان نص على أنه من أسرة آل الفضل كما لاحظنا، والديوان نفسه يقول:

فَيَا بَا عَلِيٍّ يَا ابْنَ مَنْ فَاقَ مَجْدُهُ أَوَاخِرَ أَرْبَابِ الْعُلاَ وَالْأَوَائِلاَ

ويقول:

أَبُوكَ الَّذِي لَمْ تَحْمِلِ الْخَيْلُ مِثْلَهُ إِذَا أَجْهَضَ الرَّوْعُ النِّسَاءَ الْحَوَامِلاَ

---

(١) المصدر نفسه، ص. ص ٤٠٢ - ٤٠٣. الندب: الخفيف السريع إلى الفضائل. الفدم: العي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم.

(٢) المديرس الدولة العيونية، ص ١٣١، وانظر المخطوطة المرفقة بها ص ص ٢١٠ - ٢١١.

(٣) ديوان ابن المقرب، ص ٥٩٦.

مَضَى لَمْ يُـدَنِّسْ عِـرْضَـهْ بِـرَذِيلَةٍ وَلَا رَاحَ لِلْمَوْلَى وَلَا الْجَارِ خَاذِلَا[1]

وهذه ذكرى تعود بنا إلى شخصية محمد بن أبي الحسين أحمد، بما تحمله من عاطفة، وليس إلى محمد بن ماجد، الذي افتُقِدَت عنده مثل هذه العاطفة، إضافة إلى أن هذه الصورة لا تنطبق عليه.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٢.

obeikandl.com

الفصل التاسع
النهاية

في وسط تلك الأجواء المتوترة بين الحكام العيونيين، أخذت القوى الداخلية في الترصد للحكام العيونيين، والتهيىء للانقضاض عليهم، خاصة أن المشاعر الشعبية أخذت في النفور من صراعاتهم وتصرفاتهم تجاه بعضهم بعضاً. وقد واجه العيونيين جماعتان ذات نفوذ كبير بينهم، هما: آل جروان، وبنو عامر.

١ ـ الخلاف بين العيونيين والجروانيين:

في عهد الأمير مسعود بن محمد، وقعت نكبة آل جروان. وليس في الديوان إشارة إلى أسباب الخلاف بين الأسرة الجروانية والبيت العيوني في الأحساء. وكل ما يحمله الديوان أن هنالك من سعى بهؤلاء ووشى بهم، فأفسد العلاقة بينهم، حتى وصلت إلى حد القتل والمطاردة والقطيعة. فمن ذلك قوله، وهو يتحدث عن نفسه معهم:

أَطَاعَتْ بِنَا إِخْوَانُنَا كُلَّ كَاشِحٍ ... خَبِيثِ الطَّوَايَا يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُه

وَجَازَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّنَا ... عَدُوٌّ مَعَ ٱلإِمْكَانِ تُخْشَى غَوَائِلُهْ[1]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٣٧.

وفي قوله:

وَهَـلْ كَـانَ عَبْـدُ اللَّهِ وَالِـدُ مَعْشَـرٍ سِوَانَا فَيُسْتَصْفَى وَتَمْشِي وَسَـائِلُهْ[1]

ما يوحي بأن هناك خلافاً على الملك، فهو هنا يقول: إننا من نسل عبد الله بن علي مؤسسة الدولة العيونية، وهناك يقول: إن الأعداء أسمعوكم بأننا سننقض عليكم إذا ما أتيحت لنا الفرص. فالخلاف الخفي إذن، بينهم هو حول استئثار أولئك بالحكم ورغبة هؤلاء في المشاركة فيه. ويتكرر منه ذلك الإدعاء فيقول معللاً:

أَرَادَتْ عِدَاهُمْ نَيْلَ مَا كَانَ مِنْ عُـلاً لَهُمْ يَا لَقَوْمِي مِنْ عَمًى وَظَـلَالِ[2]

وقد تسبب ذلك في القبض على زعيم آل جروان وقتله، كما صودرت أمواله ونفي أهله، وهو ما نص عليه بقوله:

وَأَطْمَعَهُمْ قَتْـلُ الرَّئِيسِ وَمَـا جَرَى مِنِ اخْـرَاجِ آلٍ وَاسْتِبَاحَـةِ مَالِ[3]

ولكن يبدو أن نكبة آل جروان لم تَطُل، إذ عادوا إلى مكانتهم السابقة بعد مضي عام واحد فقط، يقول:

فَلَمْ يَمْضِ إلاَّ الْحَـوْلُ ثُمَّ رَأَيْتَهُـمْ عَلَى رَغْمِ شَـانِيهِمْ بِـأَنْعَمِ بَـالِ[4]

وعلى الرغم من كل المقدمات التي أرجع فيها ابن مقرب نكبة آل جروان إلى الوشاة والحساد، فإنه يبدو أن آل جروان كانت لهم مكانة معينة في الإمارة العيونية، وربما كانت نكبة زعيمهم، لأنه وقف موقفاً مناوئاً من الحاكم، مما جعل الحاكم يغضب عليه، وقد ساعد في إشعال نار العداوة بينهما البطانةُ الفاسـدةُ التي طالمـا أومأ لهـا. يقول في مـدح إبراهيم بن عبد الله:

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٣٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧٧.

وَمَنْ يَلْقَ إِبْـرَاهِيمَ يَلْقَ ابْنَ تَـارِحٍ أَخِي الْعَزْمِ فِي نُسْكٍ وَعَزْمٍ خِلَالِ
وَيَلْقَ ابْنَ يَعْقُوبَ الْمُكَرَّمَ يُوسُفاً نَبِيَّ الْهُدَى فِي عِفَّةٍ وَجَمَالِ
فَتًى حَلَّ مِنْ عَلْيَا لُكَيْزٍ وَعَامِرٍ بِأَعْلَى مَحَلٍّ مِنْ ذُرًى وَقِلَالِ
فَيَا بِأَبِي أَخْلَاقُهُ الْغُرُّ إِنَّهَا لأَعْذَبُ مِنْ صَافِي الثَّغَابِ زُلَالِ
أَخٌ وَابْنُ عَمٍّ حِينَ أَدْعُوا وَوَالِدٌ شَقِيقٌ وَخِلٌّ لَا يَخُونُ وَكَالِي
كَفَى سَاكِنَ الْبَحْرَيْنِ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَنَاءَ بِأَعْبَاءٍ تَكِدْنَ ثِقَالِ
فَلَوْلَاهُ لَا زَالَ الرَّفِيعَ عِمَادُهُ لَصَالَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ كُلَّ مَصَالِ[1]

وقد دلت الأحداث على أن آل جروان كانوا ـ ذوي تأثير في السلطة، وهذه الصفات التي أسبغها على إبراهيم، ليست صفات سياسية عسكرية، كما نلاحظ في مدحه لبقية الحكام العيونيين، بل هي صفات خاصة، أما البيتان الأخيران، فيدلان على أنهم كانوا، إلى جانب تمتعهم بنفوذهم الخاص، يشتركون في المعارك الحربية، أما ذِكْره أنه: «أخ وابن عم»، فهو إشارة إلى علاقته الشخصية به. ومن ثم يتبين لنا أن آل جروان كانوا قوة مؤثرة في الأحساء، وتؤكد الأبيات التالية هذا الترابط الوثيق بين ابن مقرب وزعيم الجروانيين أبي علي إبراهيم، فإبراهيم «الناسك المتهجدا»، وهو بإجماع العشيرة «أوحدا» وهو رضاه كما في السابق، «والداً وأخاً وعماً وابن عم.. وسيداً»، بل يتجاوز ذلك إلى أن يصبح له «خادماً»، يقول:

مَنْ يَلْقَ إِبْـرَاهِيمَ يَلْقَ الْأَرْوَعَ النَّـ ـدْبَ الْهُمَامَ النَّاسِكَ الْمُتَهَجِّدَا[2]

ويقول:

يَـا وَاحِداً مَـا زَالَ كُـلُّ أَبٍ لَـهُ يُـدْعَى بِإِجْمَاعِ الْعَشِيرَةِ أَوْحَـدَا

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٣٧٧ـ ٣٧٨. قلال: جمع قلة، وهي أعلى الشيء ورأسه. الثغاب: الثغب، ماء يجري في ظل الجبل لا تصيبه الشمس فهو عذب بارد. كال: الكالي، الكافل. ناء: نهض بـ. مصال: صال يصول صولا، سطا ووثب وقهر.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

ويقول:

فَلَقَدْ رَضِيتُكَ، وَالِداً وَأَخاً وَعَـ ـمًّا وَابْنَ عَمٍّ مَا حَيِيتَ وَسَيِّدَا
وَاسْتَصْفِنِي وَلَداً كَذٰلِكَ خَادِماً لَوْ يَسْتَطِيعُ فَدَاكَ مِنْ صَرْفِ الرَّدَى[1]

وعلى كل، فآل جروان يلتقون مع العيونيين في عبد القيس، يقول عن إبراهيم:

آبَاؤُهُ مِنْ عَبْدِ قَيْسٍ خَيْرُهَا حَسَباً وأَكْرَمُهَا وَأَوْسَعُهَا نَدَى[2]

ولكن يبدو أن أخوالهم من بني عامر، ولذلك يقول في أبي أحمد علي الجرواني:

لُكَيْزِيُّ الْمَنَاسِبِ عَامِرِيٌّ مَلِيكٌ لِلْمُلُوكِ بِهِ اعْتِصَامُ[3]

كما قال سابقاً:

فَتًى حَلَّ مِنْ عُلْيَا لُكَيْزٍ وَعَامِرٍ بِأَعْلَى مَحَلٍّ مِنْ ذُرَى وَقِلَالِ

ويظهر أن الجروانيين نجحوا في آخر الأمر في تحويل السلطة عن العيونيين، وذلك بعد أن تفاقم الشر والفساد في الإمارة، واستشرت الفتنة والبغضاء بين أهلها.

ففي صوت يائس يقول لأبي علي إبراهيم بن عبد الله الجرواني:

أَتَرَاكَ تَرْضَى أَنْ يُحَدِّثَ جَاهِلٌ أَوْ عَالِمٌ مِنْ نَازِحٍ أَوْ دَانِ
فَيَقُولُ كَانَ خَرَابَ دَارِ رَبِيعَةٍ بَعْدَ الْعَمَارِ بَنُو أَبِي جَرْوَانِ[4]

ومع استمرار الأحداث استطاع آل جروان تنحية الحكام العيونيين وإنهاء ملكهم والتعاون مع بني عامر.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٣. وسبق أن سماه: ابن عم، وعما.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦٦. وشارح الديوان، ص ١٦٧، والعمران، ابن المقرب، ص ٤٩، يريان أنهم من بني عامر.
(٤) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ ولاحظ أن الاسم الصحيح هو «جروان» =

استيلاء بني عامر على الحكم:

ومهما يكن، فإن ابن مقرب يصف زحف بني عقيل في الجنوب وبني عامر في الشمال، على العيونيين، فيقول:

أَخَذُوا مِنَ الأَحْسَا الْكَثِيبَ إِلَى مَحَا ... دِيثِ الْعُيُونِ إِلَى نَقَا حُلْوَانِ
وَالْخطَّ مِنْ صَفْوَاءَ حَازُوهَا فَمَا ... أَبْقَوا بِهَا شِبْراً إِلَى الظَّهْرَانِ
وَالْبَحْرَ فَاسْتَوْلَوْا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ ... صَيْدٍ إِلَى دُرٍّ إِلَى مُرْجَانِ
وَمَنَازِلُ الْعُظَمَاءِ مِنْكُمْ أَصْبَحَتْ ... دُوراً لَهُمْ تُكْرَى بِلَا أَثْمَانِ[1]

وذلك على الرغم من أن هذا الوصف، هو ردة فعل يائسة من تردي الأوضاع في الأحساء خاصة، لأن هذه الأبيات من قصيدته:

كَمْ بِالنُّهُوضِ إِلَى الْعُلَا تَعِدَانِي ... نَامَا فَمَا لَكُمَا بِذَاكَ يَدَانِ[1]

وهي القصيدة التي قالها بعد خروج علي بن ماجد من الأحساء في حدود سنة ٦١٨ هـ، وتسلم مقدم بن غرير الحكم في السنة نفسها، فهي إذن في حكام الأحساء خاصة، والتثنية فيها «تعداني»، تعود إلى علي ومقدم.

= وليس «مروان» كما ذكر مرة شارح الديوان، ص ١٦٧. وتابعه في ذلك الخضيري، علي بن المقرب، ص ١٥٧؛ إذ وردت النسبة هنا دون إيراد تصحيف الها. على حين وردت في ص ٣٧٦:

وَآلُ بَنِي جِرْوَانَ لَمَّا رَمَتْهُمُ ... بِدَاءٍ عَلَى غَيْرِ الْكِرَامِ عُضَالِ

مصحفة إلى «آل بني حزوان»، وهو تصحيف قريب جداً من «آل بني جروان». كما وردت دون تصحيف في قوله: ص ٣٦٢.

وَجِدْ وَاجْتَهِدْ فِي آلِ جِرْوَانِ إِنَّهُمْ ... سُيُوفٌ تفَرِّي حَاسِدِيكَ نِصَالُهَا

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٣٢ - ٦٤٢.

يقول شارح الديوان: «قال حين خرج الأمير علي بن ماجد من الأحساء، وبقيت قوم من أهل البلد مع مقدم بن غرير... فملهكا... فأتاه قائلاً هذه القصيدة بعد خروجه»[1]، أي خروج ابن مقرب، فكما جاء في مخطوطة أخرى للديوان: «قال بمدينة القطيف بعد خروجه من الأحساء يريد العراق من البحر»[2].

وقد ظل حكام القطيف أكثر ثباتاً من حكام الأحساء، إلى ما بعد سنة ٦٢٠ هـ، ثم جاء محمد بن مسعود فوحد البلاد، يؤيده في ذلك أخواله من قيس عيلان الذي ينتمي إليهم أيضاً بنو عامر[3]، ثم ثار عليه محمد بن محمد بن أبي الحسين، واستولى على ملك القطيف بمساعدة أخواله فيها[4]. وكانت سياسته تعتمد التوفيق بين عقيل وعبد القيس. يقول:

وَيُهْنِيكَ ذَا الْمُلْكُ الَّذِي عَمَّ يُمْنَهُ عُقَيْلاً وَأَحْيَا عَبْدَ قَيْسٍ وَوَائِلَا[5]

والواقع أن الفترة السيئة جداً تمثلت في أواخر حكم مسعود بن محمد بن منصور وابنه الفضل، ثم في فترة مقدم بن غرير، وانتهت بعد ذلك بتطاحن الأسرة نفسها على سدة الحكم.

وتشير الأحداث بعد ذلك إلى استيلاء بني عامر على السلطة في الأحساء، ثم بقية البحرين[6].

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٣١.
(٢) المصدر نفسه، حاشية ص ٦٣١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦١، وانظر حاشية ص ٥٨٩.
(٤) المصدر نفسه، ص. ص ٤٠٢ - ٤٠٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٠٥.
(٦) يمكن الرجوع إلى الدراسة القيمة والجادة لعبد اللطيف الناصر الحميدان «الإمارة العصفورية»، التي تناول فيها نشأة هذه الإمارة بعد زوال العيونيين.
عبد اللطيف الناصر الحميدان، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، ص. ص ٦٩ - ١٤٠.

ومن المرجح أن العيونيين تخلوا عن الحكم في حدود سنة ٦٣٦ هـ/١٢٣٩ م، وليس في ديوان ابن مقرب أي ذكر لغير ما مر بنا من شخصيات.

obeikandl.com

الفصل العاشر
صراع العيونيين مع القبائل والقوى الأخرى

خاض العيونيون خلال تاريخهم الطويل، عدداً من المعارك التي أشار إليها ابن مقرب في شعره، مع القبائل في أطراف بلاد البحرين وخارجها، وحققوا انتصارات رفعت من شأنهم وبقيت خالدة في شعره. فمن هذه المعارك:

حرب ربيعة (الشام):

في عام ٥٩٨ هـ تحرك أمراء بني الجراح من بني ربيعة، عرب الشام، وهم مانع بن حديثة، ومسعود بن بريك بن السميط، إلى جانب دهمش بن سند بن أجود، وطيء وزبيد، بزعامة سعيد بن فضل أحد أمراء بني ربيعة، لغزو بني عقيل في جنوب العراق. فاستنهضت بنو عقيل الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بصفته رئيساً على قبائل العرب. وتصادف هذا الاستنجاد مع دعوة من الخليفة الناصر لدين الله له لمواجهة دهمش وقومه، لاعتدائهم على الحجاج في ذلك العام، فتحرك الأمير بحشود هائلة من جنده وعرب البحرين، ومن انضم إليهم من المنتفق وعبادة وخفاجة، فالتقى الجمعان بظاهر الكوفة، واقتتلوا قتالاً انهزمت فيه تلك الحشود الغازية، ولم يُنْجِ دهمشاً إلا التجاؤه إلى مشهد موسى الكاظم[1]. يقول ابن مقرب ذاكراً

(١) ديوان ابن المقرب، حاشية، ص ٥٤٨.

زعامة سعيد ورغبته في غزو بني عامر، ومواجهة الأمير له وتصميمه على دحره:

فَرَدَّ سَعِيداً عَنْ هَوَاهُ وَقَادَهُ تَحُفُّ بِهِ خَيْلٌ عِرَابٌ وَرُكْبَانُ
وَأَقْسَمَ أَنْ لَا بُدَّ مِنْ دَارِ عَامِرٍ وَلَوْ حَالَ مِنْ دُونِي ثَبِيرٌ وَثَهْلَانُ[1]

ويشير إلى فرار سعيد من المعركة فيقول:

غَدَاةَ أَبِي الْجَرَّاحِ يَغْدُو كَأَنَّه نَعَامَةُ قَفْرٍ تَقْتَفِيهَا رِئَالُهَا[2]

كما يقول ذاكراً شفاعة الأمير محمد في بني الجراح أمراء ربيعة أولئك، ما عدا دهمشاً، بعد هزيمتهم:

لَوْلَا عِيَاذُ بَنِي الْجَرَّاحِ مِنْهُ بِهِ لَصَاحَبَتْ دَهْمَشاً أَوْ أُلْحِقَتْ دَرِمَا[3]

وقد ترددت أصداء هذه المعركة في شعره، فسمَّى المعركة التي دارت بين الفريقين، فقال:

وَفِي لِينَةٍ أَرْدَى شَغَامِيمَ طَيِّءٍ جَهَاراً وَلَوْنُ الْجَوِّ بِالنَّقْعِ حَائِلُ[4]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٣. قرأ الخضيري، علي بن المقرب، ص ١٢١، «يغدو»، «يعدو». وابن مقرب يريد أن يصف غُدُوَّ النعامة إلى المرعى في عجلة ونشاط. وليس لرواية الديوان، «يغدو» رواية أخرى تدل على أنها مصحفة أو محرفة، على حين أن ابن مقرب قصد الكلمة «يغدو» قصداً. وهي من الألفاظ الشائعة لديه. يقول في صورة مطابقة لتلك ص ٣٥٥:

غَدَا مِثْلَ مَا رَاحَ الظَّلِيمُ يَحُثُّهُ عَلَى الْجَرْيِ لَيْلٌ قَدْ أَظَلَّ وَوَابِلُ

ولو تأمل الخضيري المعنى في اللفظين: (غداة- يغدو)، لما قال هو بالتصحيف، يقول ابن مقرب ٢٠٩:

غَدَاةَ تَعَاطَى السَّيْفَ وَانْصَاعَ عَاقِراً فَحَلٌّ بِهِ مِمَّا جَنَاهُ بَوَارُ

ثم إن الصورة التي قدمها ابن مقرب هناك صورة لا تحتمل العدو جراء الخوف، وإنما العدو بسرعة إلى المرعى، ومن هنا قال: «نعامة قفر تقتفيها رئالها»، فهي وأبنائها «رئالها» ذاهبة للمرعى صباحاً.

(٣) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٧، درم: رجل لم يؤخذ بثأره.

(٤) المصدر نفسه، ص . ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧. النقع: الغبار.

ولينة مورد ماء بين حائل ورفحاء، وتسمى في الوقت الحاضر أيضاً قطينة.

الحرب مع بني عقيل:

على الرغم من أن بني عقيل بطن من بطون بني عامر، إلا أن ابن مقرب كان هو نفسه يفرق بينهما، كما مر بنا. ومثلما بينا في الحديث عن سكان البحرين، فعقيل كانوا ذوي نفوذ كبير في الجناح الأيمن من الإمارة، أي القطيف وما حولها، وبنو عامر كانوا ذوي نفوذ كبير في الجناح الأيسر منها، أي في الأحساء وما حولها، وعلى أساس من هذا التقسيم، سوف نقسم الحرب بينهم وفق هذين الإقليمين:

القطيف:

كانت بداية العلاقات مع بني عقيل علاقة ودية إلى حد ما، وذلك ابتداء من مؤسسة الإمارة عبد الله بن علي حتى مجيء الملك القوي محمد بن أبي الحسين أحمد. ويرجع ثبات تلك العلاقة إلى قوة نفوذ الشخصيات الحاكمة وشدة قبضتها على مقاليد الأمور في بلادها.

وابن مقرب يشير إلى ذلك بإيجاز فيقول:

سَلَوُا عَنْ مُلُوكٍ مِنْكُمُ هَلَ أَفَادَهَا قُعُودُ عُقَيْلٍ بَعْدَهَا أَوْ قِيَامُهَا[1]

فقوة أولئك الملوك كانت هي الكافية لردع أية حركة يقوم بها بنو عقيل. ثم إنه يكشف عن نوايا بني عقيل تجاه العيونيين في فترات محنهم، مع أنهم كانوا ما يزالون في إبَّان قوتهم واعتدادهم. ومع أن بني عقيل كانت هي المستفيدة جداً مما حققه لها العيونيون من استقرار وسيادة، فقد تخلوا عنهم عندما قُتِل بعضُ رجالاتهم، فلم يَهُبُّوا لنصرتهم، ولم يقفوا إلى جانبهم في وقت الأزمات والشدائد، حتى قبل وصول الملك القوي

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٥٧.

محمد بن أبي الحسين أحمد، وذلك عندما اغتال شكر وعبد الله ابنا منصور بن علي بن عبد الله، ابنَ عمهما أبا شكر الحسن بن أبي المقدم شكر بن الحسن بن علي، حاكم أوال والقطيف سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م، يقول ابن مقرب:

وهل طلبت ثار ابن شكر[١]:

ثم ابتدأ بنو عقيل يسفرون عن وجوهم تجاه العيونيين، فكان أن اصطدموا بهم على النحو التالي:

محمد بن أبي الحسين:

كانت علاقات الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد ببني عقيل، حتى سنة ٥٩٨ هـ، علاقات حسنة، فهم وقفوا إلى جانبه في حربه ضد أهل الشام، يقول ابن مقرب:

وَفِتْيَانُ صِدْقٍ مِنْ عُقَيلٍ أَعِزَّةٌ ... ثِقَالٌ عَلَى الْأَعْدَا كِرَامُ الْمَنَاسِبِ

ثم يقول بعد ذلك:

بِهِ بَلَغُوا آمَالَهُمْ وَمُنَاهُمُ ... وَحَلُّوا مِنَ الْعَلْيَاءِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ[٢]

وفي هذا البيت ما يفصح عن أن المصالح المشتركة بين الفريقين هي التي وحَّدتهم ضد الخطر الذي أحدق بهم جميعاً.

والظاهر أنه بعد انتصارهم جميعاً على أعراب الشام، عقد الأمير مع بني عقيل معاهدة إخاء وحسن جوار، بل ربما قربهم إليه وتجاوز عن كثير من أخطائهم. وهذا ما نلاحظ في قوله في محمد سنة ٦٠٢ هـ:

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عُقَيْلاً وَقَوْمَهَا ... وَإِنْ بَعُدَتْ دَارٌ وَشَطَّ مَزَارُ
رُوَيْداً بَنِي كَعْبٍ أَفِيقُوا وَرَاجِعُوا ... حُلُومَكُمُ مِنْ قَبْلُ تُضْرَمُ نَارُ

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥١.

وفيها يقول:

أَغَـرَّكُمُ بُقْيَـا ٱلْأَمِيـرِ عَـلَيْكُـمُ وَصَفْـحُ وَحِلْمٌ عَنْكُمُ وَوَقَـارُ[1]

ولكن بني عقيل ظلوا سادرين في غيهم، ماضين فيما عقدوا العزم عليه، فخاطبهم ابن مقرب، قائلاً:

لَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ مِنْ عُقَيْلٍ وَمَا اهْتَدَوْا بَلَى إِنَّهُمْ فِيمَـا تَمَنَّـوْهُ عُمْيَـانُ[2]

ثم نرى ابن مقرب يوجه تهديداً إلى عقيل في حدود سنة ٦٠١ هـ، فيقول لعقيل:

فَقُـلْ لِعُقَيْـلٍ غَثِّهَـا وَسَمِينِهَـا إِذَا جَمَعَتْهَا فِي النُّجُوعِ الْمَحَافِلُ
أَلَا إِنَّمَـا فِعْـلُ ٱلْأَمِيـرِ مُحَمَّـدٍ لِإِحْيَاءِ مَا سَنَّ الْجُدُودُ ٱلْأَوَائِلُ[3]

إنه تهديد يحمل البلاغ بالحرب، فالبيت الأول استهانة واستخفاف بعقيل، القبيلة البدوية الأعرابية: (إذا جمعتها في النجوع المحافل)، كناية عن التبدي والعيش في الصحراء، والبيت الثاني استظهار لقوة الأمير وضَرْبُ أمثلةٍ بأعماله تشبه أعمال أسلافه في الحرب والانتقام.

ومع كل الاحتياطات التي اتخذها الأمير لكف فتنة بني عقيل، فإننا نجد أبا الجراح أحد زعماء بني ربيعة، أمراء الشام، يحرض بني عقيل على التمرد على الأمير، ولعل ذلك انتقاماً منه لهزيمتهم في حربهم ضده سنة ٥٩٨ هـ، يقول:

وَأَنَّ أَبَـا الْجَـرَّاحِ فِيكُمْ وَقَـوْمَـهُ كَمَـا كَـانَ فِي حَيَّيْ ثَمُـودَ قُـذَارُ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨. بنو كعب: هم من بني عقيل، وليسوا من مذحج، كما جمعهم محقق الديوان في قائمة القبائل، ص ٦٩٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٨. النجوع: جمع النُّجعة، وهي طلب الكلأ في موضعه.

ثم يقول:

فَمَا الرَّأْيُ إلاَّ أَنْ تَـذِلُّوا لِحُكْمِـهِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ فِي الْمَـذَلَّـةِ عَـارُ
وَتُمْسُـوا كَمَا كُنْتُمْ جَمِيعـاً رِعَاءَهُ عَسَى أَنْ تَنَالُوا نُصْفَةً وَتُجَارُوا[1]

وبالتأكيد فإن ابن مقرب لم يكن ليوجه هذا الإنذار لهم، لو لم يكن الأمير قادراً على تنفيذه، ويلاحظ في قوله: «نصفة وتجاروا»، ما أشرنا إليه من التقريب والحمايـة وتبادل المنـافع. ومن ثم استمـر الشر بين الـطرفين يتفاقم، وراح أبو الجراح يدق طبول الحرب حتى نشبت فيما بينهم، وكانت نتيجتها هزيمة بني عقيل وفرارهم، حيث صمد فيها الأمير صمود الأبطال حتى آل إليه النصر عليهم، على الرغم من أن بني عقيل أقبلت بحشود هائلة جرارة.

ونجد صدى هذه الهزيمة في القصيدة التي يذكر فيها بعض زعاماتهم وهي: آل جحاف، وآل شبانة. وكيف أن تلك الحشود جاءت إلى صفواء (صفوى الحالية شمالي القطيف)، وحاولت الاستيلاء على القطيف: (لما أتت أهل القطيف)، ثم التحم الطرفان، وكانت النتيجة فرارهم، واستيلاء محمد بن أبي الحسين أحمد على «ظعائن»، أي سبى نساءهم واستولى على أموالهم. يقول متحدثاً عن الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد:

سَـائِـلْ بِـهِ يُخْبِـرْكَ كُـلُّ مُقَلَّصٍ نَـهْـدٍ وَكُـلُّ مُثَـقَّفٍ وَيَـمَـانِـي
لَمَا أَتَتْ أَهْلُ الْقَطِيفِ بِجَحْفَلٍ مُـتَـوَقِّـدٍ كَـتَـوَقُّـدِ النِّـيـرَانِ
فِي آلِ حَجَّـافٍ وَآلِ شَبَـانَـةٍ مِثْـلَ الْأُسُـودِ بِحَـافَتَيْ خَفَّـانِ
نَزَلُوا عَلَى صَفْوَاءَ صُبْحاً وَابْتَنَـوْا فِيهَـا الْقِبَـابَ وَأَيْقَنُـوا بِـأَمَـانِ
وَتَسَـرْبَلُوا حَلَقَ الْحَدِيـدِ وَأَقْبَلُوا بِـالْخَيْـلِ وَالـرَّايَـاتِ كَـالْعِقْبَـانِ
فَغَدَتْ فَوَارِسُهُمْ لَمَـا قَدْ عَـايَنَتْ هَـرَباً وَلَمْ تَعْـطِفْ عَلَى النِّسْوَانِ

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٢٠٩ ـ ٢١٠. فتح همزة «إن»، على معطوف يقع مفعولاً به في بيت سابق. قذار: هي رواية الديوان والمعروف قدار.

فَـرَمَى ٱلْأَمِيرُ جُمُـوعَهُمْ فَتَمَزَّقَتْ كَـالشَّاءِ إِذْ جَفَلَتْ مِنَ السِّـرْحَانِ
وَتَحَكَّمَتْ فِيهِمْ حُـدُودُ سُيُـوفِـهِ ضَـرْبـاً فُـوَيْقَ مَعَـاقِـدِ التِّيجَـانِ
وَحَـوَى ظَعَائِنَهُمْ وَأَحْـرَزَ مَـالَهُمْ غَصْبـاً وَأَنْـزَلَهُمْ بِشَـرِّ مَكَـانِ[1]

ومع أن ابن مقرب ذكر في قصيدة أخرى، شخصية تسمى معروف، وذلك في معرض حديثة عن أمجاد عبد القيس، فإنه يمكن الربط بين هذه الشخصية وتلك الحرب التي دارت بين بني عقيل ومحمد بن أبي الحسين أحمـد، ففي مديحـه لشمس الدين بـاتكين أمير البصـرة، ذكر قتـاله بني معروف، وهم منيع بن المعلى بن معروف، وعمه سعيد بن معروف، فقال:

سَلُوا عَنْ مَـوَاضِيهِ مَنِيعـاً وَعَمَّـهُ فَقَـدْ خَبَرَاهَـا بَعْدَ مَـا اخْتَبَـرَاهَـا
أَلَمْ يُخْلِ أَرْضَ السِّيبِ بِالسَّيْفِ مِنْهُمَا وَكَـانَا بِغَيْـرِ الْحَقِّ قَـدْ عَمَـرَاهَـا

ثم قال:

أَحَلَّهُمَا بِالسَّيْفِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ وَلَوْلاَ سِطَامُ السَّيفِ مَا اعْتَمَرَاهَـا
إِلَى هَجَـرٍ سَاقَـا الْمَطَايَـا بِهِجْرَةٍ وَغَيْـرَ اخْتِيَارٍ مِنْهُمُ اهْتَجَـرَاهَا[2]

ومن المعروف أن باتكين كان والي البصرة قبل عام ٦٣٠ هـ.

وتدل الأبيات السابقة على أن بني معروف التجأوا إلى بني عامر.

وإذا ربطنا ولايته، وزمن نشوب الحرب التي كونت تحالفاً قبلياً ضد الأميـر محمد سنـة ٦٠٢ هـ[3]، مع ذينـك الاسمين: منيع بن المعلى بن

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٦٢٠ ـ ٦٢١. أهلُ القطيف: كمـا ضبطه محقق الديوان، ولعلها أهلَ القطيف. وذلك مسايرة للديوان الذي جعل القصيدة التي منها هذه الأبيات في محمد بن أبي الحسين أحمد.
المقلص: فرس مقلص، طويل القوائم، ضامر البطن، مُشْرِف. النهد: مرتفع المراكل. المثقف: رمح مستقيم. اليماني. السيف. القباب: جمع قبة، وهي بيت الشعر هنا. تسربلوا: لبسوا. العقبان: جمع عقاب، وهو طائر جارح.
(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٦٤٦ ـ ٦٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

معروف، وسعيد بن معروف، أمكننا أن نتصور قيادة تلك الحرب بزعامة والد سعيد وجد منيع، وأن نجمع الصورتين لتكوِّنا لنا صورة واحدة، هي تلك الحروب الطاحنة التي حشدت لها بنو عقيل كل أنصارها ابتداءً من جنوب العراق حتى القطيف، وكيف كانت المواجهة دموية، انتصر فيها محمد أيما انتصار، وتأتي الأبيات التالية لتكمل لنا جزءاً آخر من الصورة، وهي صورة اشتراك بني معروف في هذه الحرب، يقول:

سَلِ الْخَائِنَ الْجَدَّيْنِ مَعْرُوفَ هَلْ رَأَى ... بِهَا خَوَراً وَالْحَرْبُ تَهْفُو عُقَابُهَا
أَتَى مِنْ بِلَادِ السِّيبِ يُزْجِي كَتَائِبَا ... تَضِيقُ بِهَا مِنْ كُلِّ أَرْضٍ رِحَابُهَا
فَلاَقَى طِعَاناً أَنْكَرَتْهُ حُمَاتُهُ ... فَآبَتْ عَلَيْهَا ذُلُّهَا وَاكْتِئَابُهَا
وَضَرْباً دِرَاكاً رَامَ بِالسِّلْمِ بَعْدَهُ ... صَهَامِيمُ حَرْبٍ لَمْ تُذَلَّلْ صِعَابُهَا[1]

فمعروف جاء من بلاد السيب إلى القطيف في تلك الكتائب التي تملأ الأرض ثم لاذ بالفرار. وتفاصيل هذه الصورة هي تفاصيل الصور السابقة. وتدل عبارة: «الخائن الجدين»، على نكران الجميل الذي أبداه معروف، بعد أن تناسى مواقف الأمير محمد إلى جانبهم، عندما هددهم سعيد بن فضل سنة ٥٩٨ هـ.

ومما يؤكد أن هذه الحرب هي الحرب التي أشار إليها في الصور السابقة في عهد محمد بن أبي الحسين أحمد، أن ابن مقرب يقول في القصيدة نفسها:

وَجَلَّى عَنِ الْبَحْرَيْنِ يَوْمَ ابْنِ أَحْمَدٍ ... سَوَاعِقَ شَرٍّ قَدْ تَدَلَّى سَحَابُهَا[2]

وصواعق الشر التي تلك صفتها، هي هذا التهديد الخطير الذي لولا صموده له، لانهارت السلطة وسادت الفتنة وعم البلاء.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٤٣ ـ ٤٤. صهاميم: جمع صهميم، وهو الشجاع الذي يركب رأسه لا يثنيه عما يريد ويهوى.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤.

ولكن العلاقات عادت إلى وضعها الطبيعي بعد ذلك، إذ نجد ابن مقرب، الذي أعلن نفوره من بني عقيل، بعد أن اشتد اصطدامهم بالعيونيين، يخاطب قافلة منهم، متوجهة إلى الأحساء سنة ٦٠٤ هـ، قائلاً:

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ عُقَيْلٍ لِقِيتُهُمْ ... وَأَعْنَاقُهَا لِلْقَرْيَتَيْنِ تُمَالُ
أَيَا رَكْبُ حُيِّيتُمْ وَجَادَتْ بِلَادَكُمْ ... غَمَائِمُ أَدْنَى سَحِّهِنَّ سِجَالُ
إِذَا جِئْتُمُ أَرْضَ الْحَسَاءِ وَقَابَلَتْ ... قِبَابٌ بِضَاحِي بَرِّهَا وَتِلَالُ
فَأَرْخُوْا لَهَا فَضْلَ الْأَزِمَّةِ سَاعَةً ... وَإِنْ كَانَ أَيْنٌ مَسَّهَا وَكَلَالُ[1]

وعلى كل حال، فقد تخلت عقيل عن محمد بن أبي الحسين أحمد، فقُتل غدراً، ولذلك يقول:

وَهَلْ حَمَى ... أَبَا مَاجِدٍ خَطِّيُّهَا وَحُسَامُهَا[2]

وفي خضم تلك الأحداث تخلى بنو عقيل أيضاً عن ماجد بن محمد بن أبي الحسين أحمد، الذي يقول فيه ابن مقرب:

وَهَلْ دَافَعَتْ عَنْ مَاجِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... وَقَدْ كَانَ مِنْهُ حِلُّهَا وَحَرَامُهَا[3]

غرير بن أبي شكر:

وكما اتخذ بنو عقيل موقفاً سلبياً من مقتل أبي شكر الحسن بن أبي المقدم شكر، اتخذوا الموقف نفسه مع غرير ابنه، فعلى الرغم من أن غريراً هذا شارك في المؤامرة التي أدت إلى اغتيال محمد بن أبي الحسين أحمد، وذلك بالتعاون مع شيخ بني عامر راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة، فإنهم تخلوا عنه ووقفوا إلى جانب منافسه الفضل بن محمد بن أبي الحسين أحمد، ولم يمضِ عليه عام في الحكم[4]، يقول ابن مقرب:

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥٧.
(٤) المديرس، دولة العيونيين، ص ١٣٠. ولقد كان الثمن الذي قدمه غرير باهظاً جداً =

وَهَلْ عَنْ غُرَيْرٍ طَاعنت وَبِهِ اجْتَوَتْ مُنَاهَا وبالبحرين جار احتكامها[1]

ويبين هذا مدى تغلغل نفوذ بني عقيل، الذين أطلق غرير يدهم في التصرف في مقدرات البلاد.

الفضل بن محمد:

وعندما تولى الفضل بن محمد، انتفضوا عليه، فجاءوا بقيادة المعلى، أحد زعمائهم حاشدين العدد والرجال، فهبطوا من دجلة والفرات مارين بالبصرة في محاذاة نهر السيب حتى نزلوا القطيف، والتقت بهم جيوش الفضل بن محمد، فهزمتهم شر هزيمة، وطاردتهم حتى ولت فلولهم ولاحقت من هرب حتى السيب، فأعملت السيف فيهم وقتلت رجالهم شر قتلة، ولذلك يقول مخاطباً الفضل:

وَحَمَيْتَ دَارَ أَبِيكَ مِنْهُمْ بِهِمَّةٍ أَلْجُودُ وَالْإِقْدَامُ مِنْ هَامَاتِهَا
مِنْ بَعْدِمَا جَمَعَتْ عُقَيْلٌ كَيْدَهَا بِالرَّأْيِ مِنْ عُقَّالِهَا وَغُوَاتِهَا
وَدَعَتْ بِأَهْلِ السِّيبِ فَابْتَدَأَتْ بِهِ مِنْ شَطِّ دِجْلَتِهَا وَشَطِّ فُرَاتِهَا
تَتْلُوا الْمُعَلَّى حَيْثُ سَارَ وَإِنَّهُ لَلْفَارِسُ الْوَلَّاجُ فِي غَمَرَاتِهَا
فَتَكَنَّفَتْ أَهْلُ الْقَطِيفِ بِخَيْلِهَا وَرِمَاحِهَا وَقِسِيِّهَا وَرُمَاتِهَا
فَصَبَرتَ صَبْرَ الْأَكْرَمِينَ وَلَمْ تَخِمْ عَنْ زَحْفِهَا يَوْماً وَلَا غَارَاتِهَا
تَتْلُوا لِوَاءَكَ مِنْ رَبِيعَةَ عُصْبَةٌ تَخْشَى الْأُسُودُ الْغُلْبُ مِنْ صَوْلَاتِهَا
بِأَكُفِّهَا بِيضٌ بِهَا ضَرَبَ الْعِدَا آبَاؤُهَا الْمَاضُونَ عَنْ أُمَّاتِهَا
كَمْ جَدَّلَتْ بِخُدُودِهَا مِنْ مَائِقٍ مُتَمَرِّدٍ وَالْخَيْلُ فِي جَوْلَاتِهَا
تَبْكِي قَوَاتِلَ مَنْ قَتَلْنَ وَلَيْسَ مِنْ قَوَدٍ يُقَادُ لَهَا وَمَنْ لَهَا بِدِيَاتِهَا

= لقاء وقوف بني عقيل إلى جانبه، إذ تنازل لراشد بن عميرة عن جميع أمواله في القطيف وأوال، وعن عدد من السفن، وعن آلاف الدنانير تدفع له سنوياً.

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٤٥٨.

نِعْمَ الْحُمَاةُ إِذَا الْكُمَاةُ تَسَانَدَتْ لِبَنِينَ أَحْمَاهَا عَلَى رَايَاتِهَا
تَرَكَتْ نِسَاءَ السِّيبِ تَبْكِي حَسْرَةً لِوُلَاتِهَا وَتُطِيلُ مِنْ وَيْلَاتِهَا[1]

وكما هو واضح فإن انتصار الفضل يعود إلى العصبية القبلية، حيث ألقت قبائل ربيعة بثقلها مع الفضل، فحقق بذلك انتصاراً باهراً أمكنه من مطاردة العدو في عقر داره.

هذا ما تقوله الأبيات، وقد أخذنا بهذا الرأي حسبما جاء في مدح الفضل، يبدو أن فضلاً كان أضعف من أن يتصدى لمثل هذه الجيوش. وقد سبق أن ذكر أن معروف جاء من بلاد السيب، في عهد والد الفضل محمد بن أبي الحسين، ولعل ابن مقرب إنما يمدح الفضل هنا لاشتراكه في هذه الحرب ضد ذلك الهجوم. وربما فسَّر هذا التداخل في الشخصيات، ذلك التداخل الذي نجده عنده في شخصيات أخرى في بعض القصائد التي قيلت في مسعود بن محمد ومحمد بن مسعود، ومحمد بن محمد. ومن سياق الأحداث نجد أن الجيوش مقبلة على القطيف، ولكن محقق الديوان ضبط (أهل) بالضم: «أهلُ القطيف»، والظاهر أنها مفعول به: «أهلَ القطيف». وربما كشفت دراسات أخرى عن حقيقة هذه المواقف.

وقائع أخرى:

وفي الديوان أبيات جاءت في مدح مسعود بن محمد، تذكر كيف أن والده محمد تصدى لبني عقيل. وكما نعلم، فإن محمداً كان يتمنى مثل هذا اللقاء الذي لم يقع في حياته. مما يجعل هذه الأبيات من الأبيات المشكة في شعر ابن مقرب، خاصة أن تَحَرُّك جيوش بني عقيل ابتدأ من القطيف «خيلُ القطيف»، ولا يحتمل موقعه في البيت إلا أن يأتي فاعلاً. ولو افترضنا أن هذه الحرب هي الحرب التي شنها أبو سنان محمد بن الفضل،

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ١١١ ـ ١١٣. تكنفت: التكنف، الإحاطة بالشيء من جميع جوانبه.

أو أخوه غرير بن محمد، وأن محمداً والد مسعود اشترك ضدها على مشارف الأحساء، فإننا سنواجه بمواقف متناقضة من الشاعر تجاه الأسرتين: آل الفضل وآل أبي المنصور.

أما إذا كان ابن مقرب يتحدث إلى مسعود وفي ذهنه محمد بن أبي الحسين أحمد، فإن هذا أيضاً موقف قلق، وإن كنا وجدنا ما يشبهه عندما تحدث إلى الفضل على أنه هو الذي واجه أهل السيب، على حين أن الثابت تاريخياً كما أوضح ابن مقرب نفسه، أن محمد بن أبي الحسين أحمد، والد الفضل، هو الذي واجه ذلك الزحف.

ومهما يكن، فإن ابن مقرب يقول:

سَلْ عَنْهُ يَوْمَ أَغَارَتْ فِي كَتَائِبِهَا ... خَيْلُ الْقَطِيفِ مِنَ الْقَرْحَا إِلَى الْجَبَلِ
يَحُثُّهَا مِنْ عُقَيْلٍ كُلُّ ذِي أَشَرٍ ... مَوْلَى فَوَارِسَ لَا مِيلٌ وَلَا عُزُلِ
أَعْطَى أَسِنَّتَهُمْ نَحْرَ الْجَوَادِ وَلَمْ ... يَسْمَحْ لَهُمْ فِي مَجَالِ الطَّعْنِ بِالْكَفَلِ
حَتَّى حَمَى خَيْلَهُ غَصْباً وَسَاعَدَهُ ... قَلْبٌ جَرِيءٌ وَرَأْيٌ غَيْرُ ذِي خَطَلِ
ثُمْ انْثَنَى رَاجِعاً وَالنَّصْرُ صَاحِبُهُ ... يَمْشِي بِهِ الْمُهْرُ مُخْتَالاً عَلَى مَهَلِ[1]

أشهر المعارك معهم:

فمن المعارك المشهورة بينهم، التي أشار إليها ابن مقرب، هي: يوم الجرعاء (الجريعاء):

وقد وردت في أثناء افتخار ابن مقرب بآبائه، إشارة إلى حرب اشترك فيها آباؤه ضد بني عامر، حيث يقول:

وَيَوْمَ عَلَا بِجَرْعَاءِ الْمُصَلَّى ... عَجَاجُ غَابَ فِيهِ الْمَسْجِدَانِ
أَلَمْ يَلْقَ الرَّدَى مِنْهُ بِقَلْبٍ ... عَلَى الْأَهْوَالِ أَثْبَتَ مِنْ أَبَانِ

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٨٧.

عَشِيَّةَ عَامِرٍ وَبَنِي عَلِيٍّ كَدَفَّاعِ السُّيُولِ مِنَ الرِّعَانِ[1]

فهذه مجموعة من القبائل، منها زعامات من بني عامر، هي أبناء غفيلة العامري شبانة، والمقداد والسبيع. وفي أبيات أخرى يستخدم الصورة نفسها لوصف هجومهم: «كدفاع السيول من الرعان»، وهنا: «كأبي السيال حين طما»، كما ذكر عددهم بأنهم ثلاثون ألفاً، وأن العيونيين ثمانون رجلاً. وهذه المعركة هي معركة «الجرياء»، مكان بالقرب من الأحساء، يعرف بأم الدجاج، يقول واصفاً تلك الحشود التي أغلبها من أبطال بني عامر:

مِنَّا الثَّلاثَةُ وَالْفَرْدُ الَّذِينَ لَقُوا كَتَائِباً كَأَبِي السَّيَّالِ حِينَ طَمَا
تَدْعُو عَجِيبَةَ أَحْيَاناً وَآوِنَةً أُمُّ الْعَجَرَّشِ وَالْحَجَّافِ بَيْنَهُمَا
يَوْمَ الْجُرَيْعَاءِ مَا خَامُوا وَمَا جَبُنُوا بَلْ كُلُّهُمْ يُصْطَلِي نِيرَانَهَا قُدُمَا[2]

وقد ظل يكرر ذلك فقال:

وَقَبْلُ رَدَّتْ رُبُوعَ الْقَوْمِ أَرْبَعَةٌ مِنَّا فَمَنْ ذَا إِلَى مَجْدٍ يُسَامِينَا
يَوْمَ الشَّبَانَاتِ لاَ تَثْنِي أَعِنَّتَهَا كَأُسْدِ خَفَّانَ هِيجَتْ أَوْ عِفِرِّينَا
تَتَلُوهُمُ آلُ حَجَّافٍ وَمَا وَلَدَتْ أُمُّ الْعَجَرَّشِ مِثْلَ الْجُرْبِ طُلِّينَا
لَمْ يَتْرُكُوا فَضْلَ رُمْحٍ فِي أَكُفِّهِمُ وَنَحْنُ نَقْصُدُهَا قَرْعاً فَتُخْطِينَا[3]

ويبدو من واقع ما ذكره شارح الديوان، أن هؤلاء الأربعة (الثلاثة والفرد)، هم أولاد أبي مقرب الحسن بن غرير (بن ضبار بن عبد الله بن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢٩، وانظر ص ٥٤٦، أبان: جبل أبان.
الرعان: جمع الرعن، وهو أنف الجبل.
(٢) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣.
لاحظ أن الجريعاء هي تصغير الجرعاء في الأبيات الثلاثة السابقة. مما يعني أن المعركتين واحدة.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦١٥.

علي)، ثم إن ذكره لغفيلة بن شبانة، والد شبانة الذي عاصر محمد بن الفضل بن عبد الله، يعني أن هذه الحروب وقعت قبل حكم محمد بن الفضل، وبعد وفاة عبد الله بن علي، أي قبيل سنة ٥٢٠ هـ.

يوم العطيفة (يوم القطيعة):

وإذا تصورنا أن متاعب الأحساء كانت دائماً تأتي من بني عامر، فإنه لمن المتوقع أن يكون بنو عامر، هم الذين جَرَت معهم هذه الموقعة في هذا اليوم، حيث تصدى ثمانون رجلاً، وفي مقولة أخرى ثلاثون رجلاً من العيونيين، لثلاثة آلاف رجل من بني عامر، فهزموهم حتى غلبوهم يقول:

مِنَّا الرِّجَالُ الثَّمَانُونَ الَّذِينَ هُمُ ... يَوْمَ الْقَطِيعَةِ أَوْفَى مَعْشَرٍ ذِمَمَا
لَاقَوْا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَمَا جَبُنُوا ... عَنْهُمْ وَلَا اسْتَشْعَرُوا خَوْفاً وَلَا بَرَمَا
فَطَاعَنُوهُمْ إِلَى أَنْ عَافَ طَعْنُهُمُ ... مَنْ كَانَ يَحْسِبُهُمْ غُنْماً إِذَا قَدِمَا[1]

ويمكن تحديد هذه المعركة عقب يوم الجرعاء أو الجريعاء مباشرة، أي في سنوات حكم محمد بن الفضل أو قبلها بقليل لأن ابن مقرب يقول، بعد ذكره يوم الجرعاء:

يَوْمَ الْعَطِيفَةِ إِذْ جَاءَتْ مُغَلِّسَةً ... كَتَائِبُ نَحْوَنَا بِالْمَوْتِ تُرْدِينَا
تُوفِي ثَلَاثَةَ آلَافٍ مُضَمَّنَةً ... وَلَا نُجَاوِزُ فِي عَدٍّ ثَلَاثِينَا
رِمَاحُهُمْ وَظَلَامُ النَّقْعِ يَسْتُرُنَا ... وَكَرُّنَا وَضِيَاءُ الْبِيضِ يُبْدِينَا[2]

ثم يقول:

حَتَى تَوَلَّوْا وَقَدْ جَاشَتْ نُفُوسُهُمْ ... غَيْظاً لِمَا عَايَنُوهُ مِنْ تَحَامِينَا[3]

ويذكر يوم الجرياء فيقول:

وَقَبْلُ رَدَّتْ رُبُوعَ الْقَوْمِ أَرْبَعَةٌ ... .

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦١٥.

يوم الصخر: وهناك حرب وقعت.

حروبهم الأخرى:

حربهم مع النائلي:

وفي هذه الفترة أيضاً، فترة حكم أبي سنان محمد بن الفضل، انتفضت الأحساء على أميرها من قبله أبي مقدم شكر بن علي، وتزعم الحركة رجل يقال له حماد من بني نائل، من الأخلاف، وانظم إليه بعض بني عامر. يقول:

مِنَّا الَّذِي عَامَ حَرْبِ النَّائِلِيِّ جَلَا يَوْمَ السُّبَيْعِ وَيَوْمَ الْخَائِسِ الْغُمَمَا[1]

وفي تحديد المكان بـ (الخائس)، إشارة إلى المذبحة التي حلت بالمتمردين، حتى امتلأ أحد بساتينها بالجثث، فسمي بالخائس من كثرة القتلى فيه وما تبعثه من نتن.

أما قوله: «السبيع»، فهو إشارة إلى السبيع بن غفيلة بن شبانة، أحد مشائخ بني عامر الذي قتل في هذا اليوم.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٦.

obeikandl.com

الحروب الأخرى

حربهم مع بني مالك:

ثار بنو مالك الذين يسكنون الدجاني جنوب غربي الدهناء، ضد الملك محمد بن أبي الحسين أحمد سنة ٥٩٩ هـ، فغزاهم الملك في عقر ديارهم، وهم في منعة ودفاع، فقتل منهم خلقاً كثيراً، ولاذ الباقون بالفرار، فاستولى على أموالهم، حتى غدت نساؤهم ثكالى والأطفال يتامى بالعراء تحت رحمته:

فَسَائِلْ بِهِ فِي الْحَرْبِ أَبْنَاءَ مَالِكٍ ... وَمَا حَاضِرٌ فِي عِلْمِهِ مِثْلُ غَائِبِ
أَتَاهُمْ بِجَيْشٍ يَمْلأُ الْأُفْقَ مَا لَهُ ... سِوَى مَنْ يُرَاعَى مِنْ شَبَابٍ وَشَائِبِ
فَلَمَّا رَأَهُ أَنَّهُ هُوَ لَمْ يَكُ ... سِلَاحُهُمُ إِلَّا غُبَارَ الْسَّلَاهِبِ[1]

ويقول:

سَلُوا تُخْبَرُوا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ لِفِعْلِهِ ... بَنِي مَالِكٍ فَالْحُرُّ بَالْحَقِّ قَائِلُ
أَلَمْ يَجْلِبِ الْجُرْدَ الْعِتَاقَ شَوَازِباً ... مِنَ الْخَطِّ تَتْلوهَا الْمَطَايَا الْمَرَاسِلُ
إِلَى أَنْ أَنَاخَتْ بِالدَّجَانِيِّ بَعْدَمَا ... بَرَاهَا السُّرَى وَالْأَيْنُ فَهْيَ نَوَاحِلُ
فَصَبَّحْنَ حَيًّا لَمْ تُصَبَّحْ حِلَالُهُ ... قَدِيماً وَلَا رَامَتْ لِقَاهُ الْجَحَافِلُ[2]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٤٨ - ٤٩. السلاهب: جمع السلهب، وهو من الخيل ما عظم وطالت عظامه.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٣٥٣- ٣٥٤. الجرد: القصيرة الشعر. الشوازب: الضامره. المطايا المراسل: الإبل السهلة السير. وتبين الأبيات أن التحرك كان نحو =

حربهم مع حاكم جزيرة قيس:

غزا ملك قيس، أبو كرزاز بن سعد بن قيصر جزيرة أوال، فتصدى له أبو المقدم شكر بن علي في سترة وأسر نام سار، أخا الملك كرزاز، وقُتل ألفان وثمانمئة قتيل منهم، يقول:

وَيَـوْمَ سُتْـرَةَ مِنَّـا كَـانَ صَـاحِبُـهُ ... لاَقَتْ بِـهِ شَامَـةٌ وَالْحَاشِـكُ الرَّقَمَـا
أَلْفَيْنِ غَـادَرَ مِنْهُمْ مَـعْ ثَمَـانِ مِئِى ... صَرْعَى فَكَمْ مُرْضَعٍ مِنْ بَعْدِهَا يَتُمَا[1]

حربهم مع غزية:

حاولت قبيلة غزية الاحتكاك بمحمد بن أبي الحسين أحمد، وذلك بقيادة شيخها ابن مذكور، فجهز له محمد جيشاً اقتحم عليه منازله، وأعمل السيف في رجاله، حتى ولّى الناجون هـاربين، تاركين النسـاء والأطفال والأموال خلفهم، وفي ذلك يقول:

وَهَـلْ مَنَعَتْ مِنْـهُ غَـزِيَّـةَ دَارَهَـا ... بِـأَسْمَـرَ عَسَّـالٍ وَأَبْيَضَ قَـاضِبِ
غَـدَاةَ أَتَاهُمْ فِي سَمَـاءِ عَجَـاجَـةٍ ... أَسِنَّتُـهُ مِنْ تَحْتِهَـا كَـالْكَـوَاكِبِ
وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْهُ النَّذِيـرُ لِيَأْخُـذُوا ... مِنَ الْبَرِّ عَنْ جَوْزِ الطَّرِيقِ بِجَانِبِ
فَلَمْ يَقْبَلُوا قَوْلَ النَّصِيحِ وَأَعْرَضُوا ... وَظَنُّـوا ظُنُونـاً يا لَهَـا مِنْ كَوَاذِبِ

= الصحراء، أي نحو الدجاني شمال غربي الـدهنّاء، فكيف يصبحـون من القبائـل القـاطنة في أطـراف الفرات، كمـا يرى المـدبرس، الـدولة العيـونية ص ١٢١. والدجاني ماء معروف في الوقت الحاضر، يقع شمال غربي الـدهناء، وهـو يتبع إدارياً المجمعة، وهـو من مياه العَـرَمعة إلى جـانب القاعيـة. انظر: عبـد الله بن محمـد بن خميس، معجم اليمامـة (الريـاض، مطابـع الفـرزدق ط ٢ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م) جـ ١ ص. ص ٣٢٦، ٤١٠، جـ ٢ ص. ص ٢٥١، ٤٢٣.

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٥٠. الرقم: الداهية. سترة: ميناء في البحرين (أوال). وكما وضح لنا من قبل فقد غزا ملك قيس أوالَ في عهد الفضل بن محمد سنة ٦٠٥ هـ، ولكن ابـن مقـرب لـم يشـر إلى ذلـك، ويمكن الـرجـوع إلى شـروط المعاهدة المجحفة معه في: المدبرس، الدولة العيونية، ص. ص ١٣٢ - ١٣٣.

فَصَبَّحَهُمْ شَعْـوَاءَ سَـدَّتْ عَلَيْهِمْ رِحَابَ الْفَيَافِي شَرْقِهَا وَالْمَغَارِبِ
فَمَـا لَبِثُـوا إلَّا فُـوَاقـاً وَأَجْفَلُوا كَإِجْفَالِ شَاءٍ مِنْ ذِئَابٍ سَـوَاغِبِ
وَخَلُّوا عَنِ الْأَمْوَالِ صُفْراً وَأَسْلَمُوا عِذَابَ الثَّنَايَا ضَاحِكَـاتِ التَّرَائِبِ
وَطَـارَ ابْنُ مَذْكُـورٍ يَشُلُّ قِـلَاصَهُ وَيُنْـذِرُ مِنْ غَارَاتِهِ كُلَّ صَاحِبِ[1]

حربهم مع بني سلمان:

لعله في عهد مقدم أبي الحسين أحمـد، وقعت الحرب مـع بني سلمان، فتحرك الأمير لقمعها، يقول:

وَهْـوَ الَّذِي قَـادَ الْجِيَادَ عَـوَابِسـاً تَحْتَ الْعَجَاجِ إِلَى بَنِي سَلْمَانِ[2]

حربهم مع بني لبيد:

ولعل في عهده أيضاً اصطدم به بنو لبيد، فتحـرك لهم الأمير وقضى عليهم يقول:

وَبَنِي لَبِيـدٍ كُلَّهَـا فَـاجْتَـاحَهَـا بِدِرَاكِ غَارَاتٍ وَحُسْنِ طِعَانِ[3]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٤٩ ـ ٥٠. قاضب: قاطع.
الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت. أجفلوا: أسرعوا وذهبوا في الأرض.
عذاب الثنايا: أي النساء.
الترائب: عظام الصدر مما يلي النحر. يشل قلاصه: يطرد إبله.
ويبدو من الصورة هنا أن غزية من القبائل التي تسكن في شمال أو شمال شرقي الجزيرة العربية.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢١. راجع حديثنا عن هذه النونية فيما مضى.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٢٢. راجع حديثنا عن هذه النونية فيما مضى.

الأحساء:

أبو سنان محمد بن الفضل:

يرجع الصراع بين بني عامر والعيونيين إلى الفترة المبكرة من حكمهم في أثناء حروبهم مع القرامطة، خاصة بني عوف بن عامر. ففي حدود سنة ٥٣٧ هـ/١١٤٢ م، التقى أبو سنان محمد بن الفضل بن محمد بغفيلة بن شبانة زعيم قبيلة بني عامر، بعد أن تحدى هذا أوامر الأمير بالارتحال بعيداً عن القطيف والحلول بالأحساء، ديار خصميه، عميه: علي والحسن. وبعد قتال دموي مرير، انهزمت بنو عامر، وعاد أبو سنان منتصراً إلى القطيف، يقول ابن مقرب، مادحاً حفيده محمد بن أبي الحسين أحمد:

بِهَا شَرِبَتْ مِنْ قَبْلُ عَوْفُ بنُ عَامِرٍ غَدَاةَ دَعَتْهَا نَزْقَةٌ وَنِفَارُ
بِكَفِّ أَبِيهِ لاَ بِكَفِّ أَبِيكُمُ فَرَاحَتْ وَفِيهَا ذِلَّةٌ وَصَغَارُ[1]

وهو يذكر أحد المواقف التي تجلت فيها شجاعة أبي سنان، فيقول في مدحه حفيده محمد بن أبي الحسين أحمد:

إِلَيْكَ ابْنَ شَقَّاقِ الْفَوَارِسِ مِدْحَةً تُطَأْطَأُ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ الْكَوَاهِلُ[2]

أبو ماجد محمد بن منصور:

أما في عهد أبي ماجد محمد بن منصور بن عبد الله (٥٥٦ هـ/١١٦٠ - ٥٨٠ هـ/١١٨٤ م)، فقد خَلُد بنو عامر إلى المسالمة

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٠٨، وانظر حاشية ص ٥٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٩. وجاء فيه: «كان يسمى الشقاق، وكان يسمى بذلك، لأنه يوم البيت ضرب رجلاً بسيفه، فشق رأسه وبلغ السيف إلى صدره». والبيت: بيت غفيلة بن شبانة شيخ بَني عامر، انظر ص ٥٤٦.

والحذر حتى قال الأمير نفسه: «وددت أني أطارد خيل عامر إلى الليل يوماً كاملاً»[1]. ويدلنا هذا القول على شدة الصراع المستمر بين المجموعتين.

مسعود بن محمد:

أما في فترة مسعود، فإن نفوذ بني عقيل أخذ يشتد وطأة، فأصبحوا يتخطون الحدود الصحراوية ويتوغلون في المدن العيونية، حتى كادت تكون لهم السيطرة التامة على مقدرات البلاد وثرواتها، بحيث إنهم وصلوا إلى تجاوز أبسط المواضعات في العلاقات الإنسانية، وأصبحوا شيئاً فشيئاً يتحكمون في أموال الناس الخاصة، وشؤونهم العامة، وكادت الدولة تقع في أيديهم نهائياً، بعد أن استسلم السكان لسطواتهم وما يفرضونه عليهم. ويصف ابن مقرب هذا الوضع المتردي وصفاً دقيقاً يكاد يصل إلى تجريد السلطة نفسها من نفوذها ومسؤوليتها.

فيقول:

بَـذَلْنَا لَهَـا مِنْ مَالِهَـا كُلَّ صَهْـوَةٍ ... يُشَـدُّ عَلَى مِثْلِ الْقَنَـاةِ حِـزَامُهَـا
وَصُنَّا بِأَنْـوَاعِ الْحَرِيـرِ جُسُومَهَـا ... وَمَلْبَسُنَـا صُوفُ الـرُّعَيْنَا وَخَـامُهَا
وَرُحْنَـا وَدُخْنُ الْقَرْيَتَيْنِ طَعَـامُنَـا ... وَبُرُّهُما الْمَحْضُ الْمُصَفَّى طَعَامُهَا
وَمَنْ بَعْضِ مَا يُهْدَى لَهَا مِنْ عَطَائِنَا ... بَسَـاتِينُ يَشْدُو بِـالْأَغَانِي حَمَـامُهَا
وَكُلُّ نَفِيسٍ كَانَ حَشْـوَ قُصُورِنَـا ... عَـدَلْنَاهُ عَنَّـا فَـاحْتَـوَتْـهُ خِيَـامُهَـا
وَمِنَّـا عَـوَالِيهَـا وَمِنَّـا دُرُوعُهَـا ... وَمِنَّـا مَـوَاضِيهَـا وَفِينَـا كِـلَامُهَـا
دَلَلْنَـا وَقُلْنَا عَـلَّ فِي الذُّلِّ رَاحَـةً ... وَعَلَّ فُحُولَ الشَّوْلِ تُرْوَى حِيَامُهَا
فَلَمْ يُغْنِ عَنَّـا ذُلُّنَـا وَخُضُـوعُنَـا ... غَنَـاءً وَلَا أَمْوَالُنَـا وَاقْتِسَـامُهَـا[2]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩. الرعينا: نسبة إلى البصرة الرعناء، القريتان: مدينتا القطيف والأحساء. ومن بعض: رواية الديوان، ولعله، ومن بعض. =

والواقع أن تلك الصورة لا تعطينا صورة لاستقرار بني عقيل في مدن البحرين وقراها، بل تعطينا صورة للبدوي الذي ينفذ سلوكياته بالقوة والاعتداء، كما أنها صورة تبين أن ذلك التغلغل كان مستمراً غير منقطع، لأن منطقة البحرين منطقة خصب وخيرات وتشكل مورداً رئيساً لاقتصاديات الصحراء.

وتبين الأبيات السابقة أهم الممارسات التي كان بنو عقيل يقومون بها، وهي:

١ ـ إملاء رغباتهم على الحكام.
٢ ـ فَرْضُ دَفْعِ مقدارٍ كبير من المال، كَنَّى عنه ابن مقرب بالحرير، وكل نفيس في قصورهم.
٣ ـ تخصيص كمية كبيرة من البُر لهم.
٤ ـ تخصيص كمية كبيرة من بلح النخيل وثمار المزارع.
٥ ـ تجهيزهم بالعدد والسلاح.

ولا بدّ أنه في ظل هذه السياسة كانت العلاقات بينهم تنذر بالانفجار، وكانت الشرارة التي أوقدت الفتيل، هي قتل شكر بن مفرح بن حجاب العقيلي على يد السكان في الأحساء، ومع أن الحاكم مال إلى دفع الدية درءاً للشر، فإن مقتله كان تعبيراً عن رفض الناس لتلك الممارسات. وهنا نجد ابن مقرب يعبر عن موقفه الرافض أيضاً لذلك، فيحرض الحاكم على التصدي لهذا الشغب، على أساس أن العقيلي المقتول جاء في عصابة من قومه لسرقة أموال الناس التي مثّل لها بالحمير، وهو بهذا التحريض يريد أن يلقن بني عقيل درساً لا يتجرأون بعده على مثل تلك التصرفات، ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان، يقول:

= كلامها: جراحها. الشول: الشائلة من الإبل، ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها. كلامها: جراحها. حيامها: عطاشها.

أَتَرْضَوْنَ ذَا النَّقْصَ الَّذِي مَا وَرَاءَهُ ... وَأَنْتُمْ إِذَا صَالَتْ مَعَدٌّ سِطَامُهَا
وَيُودَى قَتِيلُ كَانَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... يُجَمِّعُ أَوْبَاشاً كَثِيراً طَغَامُهَا
وَيَقْطَعُ طُرْقَ الْمُسْلِمِينَ نَهَارَهُ ... عِلَانَاً وَلَا يَثْنِيهِ عَنْهَا ظَلَامُهَا
فَكَمْ مِنْ حِمَارٍ خَرَّ عَقْراً بِسَيْفِهِ ... وَدَوْخَلَةٍ قَدْ فُضَّ عَنْهَا خِتَامُهَا
فَإِنْ غَضِبَتْ فِيهَا عُقَيْلٌ فَأَنْتُمُ ... بَنُو الْحَرْبِ إِذْ يُذْكِي لَظَاهَا ضِرَامُهَا
وَمَا نِيلَ غَدْراً بِلْ أَتَى فِي عِصَابَةٍ ... قَلِيلٌ مِنَ الْغَدْرِ الشَّنِيعِ احْتِشَامُهَا
فَأُوجِرَهَا نَجْلاءَ طَعْنَةَ ثَائِرٍ ... كَجَيْبِ قَمِيصٍ لَا يُرَجَّى الْتِئَامُهَا
أَرَاحَ بِهَا مِنْهُ الْحَمِيرَ فَأَصْبَحَتْ ... تَنَاهَقُ فِي الْمَرْعَى وَيَعْلُو رُدَامُهَا
فَوَاسَوْأَتَاهُ إِنْ كَانَ يُودَى قَتِيلُهَا ... عَلَى ذَا وَيُدْنَى فِي حِمَانَا مَقَامُهَا
وَيُقْتَلُ بِالْغَدْرِ الصَّرِيحِ كِرَامُنَا ... فَتُلْغَى لَقَدْ خِبْنَا وَفَازَتْ سِهَامُهَا
أُعِيذُكُمُ أَنْ تَقْبَلُوا ذَا وَأَنْتُمُ ... ذُؤَابَةُ أَفْضَى كُلِّهَا وَسَنَامُهَا

ويستنهض مسعوداً وأهل الأحساء لحربهم، فيقول:

فَيَا بَاسِنَانٍ قُمْ فَأَنْتَ زَعِيمُهَا ... وَأَنْتَ مُرَجَّاهَا وَأَنْتَ هُمَامُهَا[1]

ولكن مسعوداً كان أضعف من هذه المواجهة، وليس في شعر ابن مقرب ما يدل على النتيجة، غير أن شارح الديوان يقول: «ومن الأسباب النحسة أن قوماً من أهل البلد دبروا تدبيراً قَوَّى عليهم البدو، وكانت الدائرة على أهل البلد»[2]، وهذا يعني أن الفريقين التقيا في مناوشات جانبية أدت في النهاية إلى انتصار بني عقيل.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٤٦٠ - ٤٦١. السطام: حد السيف. يودى: تدفع ديته. دخولة: وعاءة من خوص يوضع فيه التمر. ضرامها: الضرام، ما دق من الحطب ولم يكن جزلاً، تشعل به النار. طغامها: أرذالها. أوجره بالرمح: طعنه به. نجلا: واسعة. ردامها: ضراطها.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥٦.

وتوشك الأمور أن تسلم مقاليدها إليهم كلية، لولا استلام محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد الحكمَ وتوحيد البلاد، لمدة قصيرة، على يديه[1].

وهناك حرب وقعت في عهد مسعود بن محمد ليس من الواضح مع من كانت، وإن يكن الظاهر أنها ضد إحدى الجماعات البدوية، ولعلها من بني عامر، التي شنت حرباً تدميرية كنّى عنها بـ «لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ»، ضد قبيلة قيس عيلان، وقد أنجدهم الأمير مسعود حتى رجعوا خاسرين. يقول:

سَلْ عَنْهُ غَدَاةَ الصَّخْرِ وَقَدْ ... جَاءَتْ تَتَبَارَى فِي اللُّجُمِ
شُعْثاً تَحْمِلْنَ أُسُودَ شَرًى ... فِي غَابِ الْقَسْطَلِ لاَ الْأُجُمِ
يَتْبَعْنَ هُمَاماً صَوْلَتُهُ ... تَسْطُو بِالْأَرْعَنِ ذِي الشَّمَمِ
غَمَرَ الْمَسْلُوبَ بِهَا سَحَراً ... سَيْلٌ يَحْكِي سَيْلَ الْعَرِمِ
رَجَفَتْ مِنْ وَقْعِ سَنَابِكِهَا ... غِيطَانُ الْبَرِّ مَعَ الْأُكُمُ
لَوْلاَ حَمَلاَتُ عِمَادِ الدِّيـ ... ـنِ عَلَى الْأَبْطَالِ بِلاَ سَأَمِ
لَغَدَتْ وَالنَّصْرُ مُقَارِنُهَا ... تَسْتَاقُ الشَّاءَ مَعَ النَّعَمِ
لَكِنْ مَا زَالَ يُجَالِدُهُمْ ... ضَرْباً بِمُهَنَّدِهِ الْخَذِمِ
حَتَّى رَجَعُوا وَوِطَابُهُمُ ... صَفِرٌ يَقْفُونَ هَلاَ بِلَمِ
كَانَتْ لَوْلاَهُ بَنُو عَيْلاَ ... نَ كَلَحْمٍ رُضَّ عَلَى وَضَمِ[2]

---

(١) يرى العبد القادر، أن بني عامر تسلموا السلطة في الأحساء بعد الفضل بن محمد بن مسعود (أي الفضل بن مسعود كما في هذه الدراسة)، العبد القادر، تحفة المستفيد جـ ١، ص ١١٦.

أما المديرس، الدولة العيونية ص ١٢٩، فيرى أن بني عامر تسلموا السلطة في عهد مقدم بن غرير.

وفي دراستنا هذه امتد حكم العيونين إلى محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد.

(٢) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٨٣ ـ ٥٨٤.

. . . . . .

= القسطل: الغبار. الأجم: جمع أجمة وهي الشجر الملتف الكثير. مأوى، الأسد، والشجر الكثيف الملتف.

الرعن: أنف الجبل والأرعن: العالي ذو الشناخيب. غيطان البر: أراضيه المنخفضة.

الأكم: التلال. الخذم: القطع. صفرت وطابه: مات وخسر.

رضه: دقه وكسره. الوضم: ما يقطع عليه اللحم ويكسر العظم.

يبدو أن هذه الصورة من صور الحرب التي كانت تقع بين محمد بن أبي الحسين أحمد، وبني عقيل. لعل مسعوداً هذا هو مسعود بن أبي الحسين أحمد، الذي شارك في تلك الحروب. ولعل هذا يوجه لنا بعض القصائد التي في مسعود، إذ يعني أن هناك شخصيتين باسم مسعود، إحداهما هذه الشخصية، والأخرى مسعود بن محمد بن منصور بن علي.

وقد أشار ابن مقرب في حديثه عن حرب ربيعة إلى أن من أسباب تلك الحرب غزوُ وربيعة، قَيْسَ عيلان، فقال ص ٣٥٥:

فَضَاقَتْ عَلَى أَحْنَاءِ قَيْسٍ رِحَابُهَا مِنَ الْخَوْفِ وَانْسَدَّتْ عَلَيْهَا الْمَنَاهِلُ

الفصل الحادي عشر
صور الانحلال السياسي والاجتماعي في بلاد البحرين

فساد العقيدة وضعفها:

على الرغم من توتر العلاقات بين ابن مقرب والفضل، فإن شعر ابن مقرب لم يعطنا صورة واضحة عن أحوال مجتمع القطيف وأوال في عهده، ولكنه قدم صورة وافية عن مجتمع الأحساء منذ كان ماجد بن محمد في السلطة، أي قبل تولي الفضل حكم القطيف سنة ٦٠٥ هـ.

يقول:

كَمْ لِلْعَشِيرَةِ مُذْ تَوَلَّى مَاجِدٌ مِنْ سَابِقٍ بِعْتُ وَمِنْ بُسْتَانِ[1]

أما ما ذهب إليه عبد الرحمن الملا من أن ابن مقرب قال قصيدته:

تَجَافَ عَنِ الْعُتْبَى فَمَا الذَّنْبُ وَاحِدُ وَهَبْ لِصُرُوفِ الدَّهْرِ مَا أَنْتَ وَاجِدُ

كردة فعل على المعاهدة، التي وقعها بين الفضل بن محمد مع ملك قيس، حيث إنه كما يقول الملا: «كان لأخبار معاهدة الصلح هذه وقع الصاعقة على الشاعر علي بن المقرب، فأودع نقمته عليها وتنديده بها في قصيدة عصماء بعث بها من القطيف إلى الأمير فضل، يعنفه فيها على

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٣٤.

الرضوخ والهوان والاستكانة للضيم. . .»[1] وهو بذلك يقصد قصيدته الدالية هذه، فإنه غير صحيح إطلاقاً. إذ قال ابن مقرب هذه القصيدة عتاباً للفضل، وليس نقمة عليه أو تنديداً به. ودافع القصيدة هو «جفائه وقطيعته لرحمه وتضعيف حقوقه التي يستوجبها عليه، وإخلائه نواحيه»[2]. وليس في القصيدة أدنى إشارة إلى موضوع المعاهدة، وإنما موضوعها هو ذاك، فلقد صمت ابن مقرب عن هذه المعاهدة التي وُقِّعت في بداية حكمه. وكما بينا فعلاقته توترت مع الفضل بعد مضي زمن ليس باليسير عن زمن توقيع المعاهدة. ولقد كنا نتوقع منه أن يعلن هذه النقمة وهذا التنديد مبكراً، وأن يقف ضد ذلك التدخل الذي رضي فيه فضل بدفع ثلثي دخل الإمارة في مقابل البقاء في ملكه، وفي مواجهة أبناء عمومته في الأحساء، ومن الغريب بعد ذلك أن يمضي الملا، فيزعم أن علي بن ماجد: «ألغى جميع بنود تلك المعاهدة المجحفة المبرمة مع ملك جزيرة قيس»[3]، ولم يحكم علي بن ماجد القطيف، ولم يوحِّد الإقليم، بل اقتصر على الأحساء. ولم يمضِ فيه طويلاً وما إشادته بعدله إلا تقية وزلفى.

وهذا يعني أن الحكام العيونيين ابتدأوا منذ ذلك الوقت في التباغض فيما بينهم، وتمكين أعدائهم منهم. هذا ما نجده في قصيدته الهمزية التي نرجح أنها قيلت في عهد مقدم بن غرير، وينبني ترجيحنا هذا على قول شارح الديوان «خرج الأمير الأجل علي بن ماجد. وملكها الأمير الأجل مقدم بن غرير. . . فلم يمتدحه لرداءة طرائقه، وخسة خلائقه. وخرج عن قرب قاصد العراق في عزمه المسير إلى الموصل وديار بكر. . . وحصل بالموصل. فامتدح واليها بدر الدين لؤلؤا. . . وقد كان وروده الموصل سنة ثمانية عشر وستمائة»[4]. ويذكر ياقوت أنه التقى ابن مقرب في الموصل

---

(١) عبد الرحمن الملا، تاريخ هجر، جـ ٢ ص ٥٩٩.
(٢) ديوان ابن المقرب، ص. ص ١٤٠ ـ ١٤٨.
(٣) الملا، تاريخ هجر، ص ٦٠٠.
(٤) ديوان ابن المقرب، ص ١٠.

سنة ٦١٧ هـ[١]. ولعل التقاء ياقوت بابن مقرب كان في نهاية عام ٦١٧ هـ.

وابن مقرب نفسه يقول في قصيدته هذه:

وَبِجَانِبِ الزَّوْرَاءِ لِي مُسْتَوْطَنٌ إِنْ شِئْتُ أَوْ بِالْمَوْصِلِ الْحَدْبَاءِ

ويقول:

وَبِحَيْثُ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ يَضُمُّهَا حُسْنُ الْوَفَاءِ وَشِيمَةُ الْأُدَبَاءِ[٢]

وكانت إشارته السابقة إلى بغداد، وهي محطة ارتحاله دائماً، فلما تعرف على الموصل، أخذت الموصل تأخذ طريقها إلى شعره، وكانت له بها صداقات، أي بعد تولي مقدم بن غرير.

يقول في تلك القصيدة:

فِي دَارِ قَوْمٍ لَوْ رَآهُمْ مَالِكٌ وَهُمُ بِأَحْسَنِ مَنْظَرٍ وَرَوَاءِ
لَرَثَى لِأَهلِ النَّارِ كَيْفَ يَرَاهُمُ وَهُمُ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْقُرَنَاءِ[٣]

فأعمال هذه الجماعة تفوق أعمال أهل النار، حتى إن هؤلاء، وهم في دنياهم متمتعين بلذاتهم، بلغوا من الانحطاط والرذيلة ما إن أهل النار أنفسهم لا يستحقون ما حل بهم من عذاب إذا ما قورنت بأعمالهم، وكل ذلك كناية عن انتشار الرذيلة في المجتمع. ولذلك فهم في لهوهم وبحثهم، وصلوا إلى الحضيض الأدنى:

أَمَاكِناً لَعِبَتْ أَهْلُ الْفَسَادِ بِهَا فَدَمَّرُوهَا بِلَا فِكْرٍ وَلَا نَظَرِ[٤]

وطبيعي أن يَضعُف الوازع الديني لدى أولئك الذين انصرفوا إلى ملذاتهم، فواحدهم:

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، جـ ٤، ص ١٨١.
(٢) ديوان ابن المقرب، ص ١٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

لَا يَـذْكُـرُ اللَّهَ إلَّا عِنْـدَ رَابِيَـةٍ يَرْقَى وَعِنْدَ ارْتِجَاسِ الرَّعْدِ وَالْمَطَرِ
يَلْقَى الـرِّيَـاحَ إذَا هَبَّتْ بِسَـاحَتِـهِ مُجَرَّدَ السَّيْفِ مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ أَشَـرِ
يَـتْلُوهُ كُـلُّ غَـوِيٍّ حِينَ تَـنْـدُبُـهُ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ بِلْ أَشْرَى مِنَ النَّفَرِ
لَا يَعْـرِفُ الْمَنْـعَ فِي شَيْءٍ يُحَاوِلُـهُ وَلَا يُـرَاجِعُ فِي عُـرْفٍ وَلَا نُكُـرِ[1]

فذكِر الله لا يكون إلا وقت الأزمات، أما وقت النعمة والرخاء، فهو مقبل على الدنيا؛ أصحابه الغواة، وعادته السلب والنهب. وهكذا تداخلت الرغبات حتى غدا الدين نفسه تجارة فيما بينهم.

الضعف والانقسام:

تستبطن شعر ابن مقرب حالتان كثيراً ما ترددتا في قصائده، إما تلميحاً وإما تصريحاً. فالأولى أن هناك أعداء في صفوف الأسرة الحاكمة يحاولون النيل منها والإطاحة بها. والثانية أن جماعة معينة محددة، هي التي تحاول ذلك وتسعى إليه. ففي الحالة الأولى يقول:

وَمِمَّا شَجَانِي يَـا لَقَوْمِي فَعَبْـرَتِي لَدَى كُلِّ حِينٍ لَا يَجِفُّ انْسِكَابُهَا
تَضَاغُنُ أَمْلَاكٍ أَبُوهَا إذَا اعْتَـزَتْ أَبِي وَنِصَابِي حِينَ أُعْزَى نِصَابُهَا[2]

فهذا هو الوضع الماثل أمامه لرجالات إمارته، لا يرى فيه إلا الضعيف العاجز، أو المستهتر الطائش الذي أغفل سمعَيه عن كل النصائح والمحاذير، يقول فيهم:

وَسَائِرُهُمْ إمَّـا ضَعِيفٌ فَضَعْفُهُ لَهُ عَاذِرٌ، أَوْ مُبْغِضٌ لِي مُجَاهِدُ[3]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٤٤. ارتجاس: رجست السماء، رعدت رعداً شديداً. الأشر: البطر. أشرى: النفر: نوع من الحمير أو ذكورها.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

تضييع الأموال:

يستدعي هذا، العاملَ الذي سبقه، إذ إن إقبال الحكامِ أنفسِهم على تلك الأعمال، يدفع إلى الإنفاق من خزينة الإمارة على جوانب ليست هي في مصلحتها أو من مصلحتها. وفي وضع مثل وضع الإمارة العيونية، تكون النتيجة أكثر خطراً؛ لأنها تُضْعِف هيبَتَها أمام أعدائها وتهيىء لهم الفرصة للانقضاض عليها، خاصة إذا ما كان هؤلاء الأعداء بين ظهرانيها، يقول:

أَمْوَالُهُمْ لِذَوي الْعَدَاوَةِ نُهْبَةٌ ... وَعَنِ الْمَكَارِمِ فِي يَدِ الْجَوْزَاءِ
لَايُعْرَفُ الْمَعْرُوفُ فِي سَاحَاتِهِمْ ... إِلَّا كَمَا يُحْكَى عَنِ الْعَنْقَاءِ[1]

ولقد مَهَّدوا بسلوكهم الشائن ذاك، الفرصة لأولئك الأعداء، فاستغلوا انشغالهم بملاهيهم، وراحوا ينهبون خزينة الإمارة، حتى عُدُّوا هم المتصرفين فيها. وطبيعي أن ينشغل الحكم، في مقابل ذلك، عن تحقيق مصالحها والنظر في أمورها.

ونتيجة لانحطاط مستوى الحاكمين، غدوا لا يعرفون كيف يصرفون الأموال، ولا يستطيعون تمييز وجوه صرفها. فبدلاً من الإنفاق على الرعية، راحوا يبعثرونه على المنتفعين والانتهازيين، بل إنهم تركوا ما بقي، مما لم ينفَد من سوء تبذيرهم، في يد بطانتهم وحاشيتهم الفاسدة:

مَا جَمَّعُوا مِنْ سِكَّةٍ مَأْبُورَةٍ ... أَوْ مُهْرَةٍ مَأْمُورَةٍ غَرَّاءِ
فَلِكُلِّ شَاوِيٍّ وَرَاعِي هَجْمَةٍ ... جَافٍ خَبِيثِ الْعَرْفِ وَالشَّحْنَاءِ
وَبَقِيَّةُ الْمَالِ الْمُحَرَّزِ قِسْمَةٌ ... أَرَّثَتْهُ فِي أَعْبُدٍ وَإِمَاءِ[2]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦. السكة: الطريقة المصطفة من النخل.
المأبورة: الملقحة. مهرة مأمورة: نتوج ولود. الشاوي: راعي الشاء.
الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة.

ولعل مما يلفت النظر هنا أن مصادر الدخل الأساسية، هي من النخيل: «سكة مأبورة»، ومن الغزو «مهرة مأمورة».

وإلى جانب ذلك هناك إيرادات أخرى تأتي من البحر، ممثلة في استخراج الجواهر واللآليء. فهذا الفضل بن عبد الله بن علي يأمر باستخراج جواهر وأموال من سفينة تجار غرقت في البحر ثم يدفعها لهم كاملة، فتباع بأزهد قيمة، ولا تأخذ الإمارة شيئاً. يقول ابن مقرب:

مِنَّا الَّذِي قَامَ سُلْطَانُ الْعِرَاقِ لَهُ جَلاَلَةً وَالْمَدَى وَالْبُعْدُ بَيْنَهُمَا(١)

أما ابنه محمد بن الفضل، فيأمر لرجل بألف دينار، ثم يراها قليلة ويزيدها ألفا أخرى. يقول في ذلك:

مِنَّا الَّذِي حِينَ عَدَّ الْأَلْفَ خَازِنُهُ لِضَيْفِهِ قَالَ ضَاعِفْهَا أَرَى أَمَمَا(٢)

بل إن محمد دفع جزءًا كبيراً من دخل إمارته لشاعر مدحه، فكان أن مات عامله على أوال، الذي جمع ذلك الجزء من المال، يقول ابن مقرب:

مِنَّا الَّذِي مِنْ نَدَاهُ مَاتَ عَامِلُهُ غَمًّا وَأَصْبَحَ فِي الْأَمْوَاتِ مُخْتَرَمَا(٣)

البذاءة والفحشاء:

ربما كانت أشد الصور لذعاً في الهجاء، صورة مجالس الحكام العيونين الذين يعنفهم ابن مقرب، فالمعروف أن السيد العربي يفخر بمجالسه، وأنه حليم لا تحل حبوته، وأن جلساءه من وجوه الناس وأعيانهم الذين يتمتعون برجاحة العقل والاتزان في التعبير. أما المجالس التي يصفها ابن مقرب، فهي مجالس سقط الناس والسوقة الذين لا تحكمهم قيم أو تسيِّرهم مبادىء، يقول:

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٤١.

وَإِذَا ابْتَدَوْا بَحَثُوا الْبَذَا فَكَأَنَّهُمْ دُجَجٌ تَبَاحَثُ عَذْرَةً بِفَضَاءِ[1]

وهي صورة سيئة جداً لمجالس الحكام، مما يعكس انحطاط مستواهم الفكري والثقافي، فقد شبههم بالدجاج التي تبحث عن الأوساخ في الخلاء الواسع، وهو تشبيه يحمل في معانيه الضعف والرداءة. لقد غاب العقل عنهم، وأصبحوا هم والسوقة سواء:

صُمٌّ عَنِ الْحُسْنَى وَلَكِنْ طَالَمَا سَمِعُوا كَلَامَ الْحُكْلِ فِي الْعَوْرَاءِ[2]

وقد لامس بعض الحالات النفسية التي تعيشها تلك الجماعة، وذلك حين يكون عالم أديب مثله في وسطهم، فإذا بالواحد منهم:

لَهُ شِيمَةُ السِّنَّوْرِ فِي لُطْفِ خَدْعِهِ وَلَكِنَّهُ فِي اللَّمْسِ حَيَّةُ ضَالِ
إِذَا جِئْتُ فَدَّانِي وَأَبْدَى بَشَاشَةً وَلَاحَظَنِي مِنْهُ بِعَيْنِ جَلَالِ
وَإِنْ غِبْتُ أَدْنَى سَاعَةً مِنْ لَحَاظِهِ تَمَحَّلَ فِي غَيْبِي بِكُلِّ مِحَالِ[3]

فتلك المظاهر الاجتماعية هي من الأمراض الاجتماعية التي خرجت إلى السطح، وأصبحت تَدُقُّ بمعاولها في الهيكل الاجتماعي للسلطة الحاكمة نفسها، وفي مجالسها، إنهم:

أَهْلُ التَّمَلُّقِ بَاعَدَتْ مَا بَيْنَنَا بِحُطَامِهَا وَالزُّورِ فِي خَلَوَاتِهَا[4]

فالتملق، والنفاق، والغيبة النميمة، هي التي غلبت على جلسات القوم، حتى تفاسدت نفوسهم وتشوهت نواياهم وبواطنهم.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٤. البذا: الفحش. الدجج: جمع الدجاج.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٤. حكل الكلام: كلام لا يفهم، والحكل من الحيوان، ما لا يسمع له صوت كالنمل والذر.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٢. المحال: الكيد والحيلة.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

وتؤكد الأحداث التي أعقبت تولي مسعود بن محمد حكم الأحساء، هذه الظاهرة التي عَرَّاها ابن مقرب في شعره.

وتصور الأبيات التالية مدى التدهور الأخلاقي والاجتماعي الذي وصله رجالات الإمارة العيونية، حتى وصل الأمر إلى اختلاط الأنساب، وتفشي الفاحشة. ومع أن هذه الأبيات قيلت هجاء، فإن شيوع هذه الصورة في شعره وتكرارها، إنما يدل على أنها لم تأت من فراغ، بل لا بدّ أن لها واقعاً استندت إليه، خاصة حين تصدر في حق جماعة قبلية لها أعرافها الواضحة، يقول:

وَمَا مِنْهُمُ إلاَّ مُهِينٌ رَمَتْ بِهِ ... أُبُوَّةُ سَوءٍ مِنْ إمَاءٍ جَلاَئِبِ
أَخُو مُومِسٍ أَوْ صَنْوُهَا أَوْ حَلِيلُهَا ... فَقَدْ حُفَّ بِالسَّوْءَاتِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
شَغُوبٌ عَلَى الْأَدْنَى وَلَوْ صَكَّ أَنْفَه ... عَدُوٌّ بِسَيْفٍ أَوْ عَصاً لَمْ يُشَاغِبِ

كما يقول:

تَجَمَّعَ لِي عَبْدٌ زَنِيمٌ وَفَاجِرٌ ... أَثِيمٌ وَأَبَّارٌ عَظِيمُ النَّيَارِبِ[1]

وفي صورة تعيدنا إلى صورة مجلسهم الذي عرفناه سابقاً يقول:

فَمَا زَالَ نَادِيهِمْ عَجَاجاً وَمَالُهُمْ ... رَجَاجاً وَوَادِيهم أُجَاجَ الْمَشَارِبِ[2]

حقاً قد تكون تلك مسألة شخصية، ولكن الأحداث التالية التي أودت بالإمارة العيونية تشير إلى أن من الأسباب القوية التي أدت إلى انهيارها، هو صعود ضعاف النفوس وتجار الأخلاق منازل ليسوا أهلاً لها أو يستحقونها.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٦٧، ٧٣. الزنيم: ولد الزنى. الأبار: الذي يصلح النخل. نيرب: ساعٍ بالنميمة.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤. الرجاج: مهازيل الغنم وضعفاء الإبل. الأجاج: الماء المالح.

التخاذل في التصدي للأعداء:

لمّح ابن مقرب إلى أن هناك أعداء داخليين يسعون للقضاء على العيونيين بنهب أموالهم والتصرف فيها دون إرادة أصحابها. ثم جاوز التلميح إلى نوع من التصريح بأن أولئك الأعداء ابتدأوا يعدون العدة للعمل العسكري، وقد نجحوا في تحقيق ذلك. يقول:

خَلُّوا الْفَخَارَ لِمَعْشَرٍ أَوْلُوكُمُ ذُلَّ الْهَوَانِ بِغِلْظَةٍ وَجَفَاءِ
مَسَحُوكُمُ كَالضَّبْعِ حَتَّى أُوثِقَتْ جُدَدُ الْحِبَالِ بِرِجْلِهَا الْعَرْجَاءِ
وَتَبَادَرُوهَا بَعْدَ مَسْحِهِمُ لَهَا سَحْباً عَلَى الْبَوْغَاءِ وَالْحَصْبَاءِ
وَالذَّبْحُ غَايَتُهَا وَهَلْ ذُو إِحْنَةٍ يَرْضَى بِدُونِ الْخُطَّةِ الشَّنْعَاءِ[1]

صورة الدجاج هناك، وهو مما يضرب به المثل في الضعف والاستلاب، وصورة الضبع هنا، وهي أيضاً مما يضرب به المثل في الجهل والحماقة المؤديين إلى الضعف والاستسلام، فالحكام هم هذه الضبع المنقادة إلى صياديها بعد خداعها، فتُجر بالحبل على التراب (البوغاء) والحصباء، وفي كلتا الحالتين، فالنهاية هي القتل والموت.

ومهما يكن، فإنهم أضعف من المقاومة والتنبه للخطر، إنهم كما يقول:

لٰكِنَّهُمْ مِثْلُ الْقَنَافِذِ إِذْ تَرَى الْـ عُقْبَانَ تَسْتَلْقِي عَلَى الْأَقْفَاءِ[2]

وهي صورة بالغة الدقة في تمثيل استسلامهم وهوانهم، فقد فقدوا كل مقومات الرجولة حتى أصبحوا يهابون الأعداء كما تَهاب القنافذ، فتنطرح على قفاها بائسة منقادة. وقد بالغ ابن مقرب في تشويه صورة أولئك الحكام، حتى جعل بقر العراق وطيرَه يدافع عن نفسه، أما هم، فلا:

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ١٥ ـ ١٦. الإحنة: الحقد والغضب.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

يَـا حَبَّذَا بَقَـرُ الْعِـرَاقِ فَـإِنَّهَـا لأَشَـدُّ مَـحْمِيَـةً وَخَيْـرُ وَفَـاءِ
كَمْ جَندَلَتْ مِنْ ضَيْغَمٍ بِقُرُونِهَـا وَافَى لِيَقْهَـرَهَـا عَـلَى الْأَبْنَـاءِ
بَـلْ حَبَّـذَا طَيْـرٌ يَعُـومُ بِمَـائِهَـا طَـوْراً وَيَرْعَى النَّجْمَ بِـالصَّحْرَاءِ
مَـا رَامَـهُ الْبَـازِيُّ مِنْـهُ بِسَـطْوَةٍ فَحَمَتْـهُ شَوْكَـةُ مِخْلَبٍ حَجْنَاءِ[1]

إنهم، وفي صورة لا تخرج عن كل الصور، كالمعزى، ذلاً وانقياداً:

مَـا عُـذْرُ حُـرٍّ فِي الْمُقَـامِ بِبَلْدَةٍ آسَـادُهَـا ضَـرْبٌ مِنَ الْمِعَـزَاءِ[2]

وما يزال يشن الهجمات على تلك الجماعة، نازعاً عنها كل لباس تتستر به أمام الناس لتغطية ضعفها وعجزها. فيقول:

يَا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ فِي قَوْمٍ تَخَـالُهُمُ نَاساً وَلَا غَيْرَ أَثْوَابٍ عَلَى صُوَرِ[3]

وإذا كانوا في أول الأمر أشباه رجال، فإنهم الآن أجساد لا روح فيها ولا حراك.

ويـظل ابن مقرب يكـرر معانيـه السابقـة شانـاً حملة شـديـدة على المجتمع العيوني كله، واصماً إياه بالجبن والخَوَر، فقد انقلبت الآية في نظره، كما عبر سابقاً، فالبزاة تجردت من حقيقتها، والبوم اكتست ثيـاب الزينة والأُبَّهَة:

عَـدِمْتُ زَمَانَ السُّـوءِ أَمَّا بُـزَاتُـهُ فَعُـطْلٌ وَأَمَّـا بُـومُـهُ فَحَـوَالِ[4]

وهذه الصورة نجدها أيضاً في قوله:

وَارْغَبْ بِنَفْسِـكَ أَنْ تُقِيمَ بِبَـلْدَةٍ عُصْفُورُهَا يَسْطُو بِشُهْبِ بُزَاتِهَا[5]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ١٧ ـ ١٨. حجناء: معوجة.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧٤. عطل: خالية من الحلي. حوال: متحلية بالحلي.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٦، وانظر الأبيات ٢٠ ـ ٢١، ص ١٧٨ البزاة: الصقور.

وهي مرحلة من الضعف واليأس تُصَوِّر تردي الأوضاع الاجتماعية والسياسية أيما ترد، بحيث إن العصافير هي التي تصيد البزاة، ولا موازنة أصلاً بين النوعين، إلا أن الهدف هو بيان هذا التدهور التعيس الذي وصل إليه المجتمع على جميع المستويات.

وتعبر الحكمة التالية عن تزعزع الثقة في البيت المالك العيوني، الذي انقلبت فيه الموازين في مرحلة مبكرة من تأسيس الإمارة العيونية. يقول وهو يمدح الفضل بن محمد بن أبي الحسين أحمد، في مَثَل مبكر من أمثلته السابقة:

لَا عَزَّ قَوْمٌ يَعِيشُ الْكَلْبُ ذَا بَغَرٍ مَا بَيْنَهُمْ وَيَمُوتُ اللَّيْثُ عَطْشَانَا[1]

السجون:

يبدو أن السجون لم تتطور في عهد الإمارة العيونية، بل ظلت، كما عرفناها في كثير من صور الشعر العربي، تعتمد على شَدِّ الرجل واليدين بحبل، وقد يكون عَقْدُ مَحَلِّ ذلك إلى خشبة تَجمعها ثم إيداع السجين داخل قبو مظلم دامس، وهو الذي يُسَمَّى «المطمرة»، هي الصور الوحيدة التي ذكرها ابن المقرب عن معاملة السجناء، إذا لم يوقَع بهم القصاص بالقتل، ويبدو أن ابن مقرب قد عانى السجن، فصور حالة السجناء فيه:

وَلَمْ يَكْفِهِمْ قَيْدٌ ثَقِيلٌ وَخَشْبَةٌ بِرِجْلِيَ فِي دَهْمَاءَ تُنْسِي الْمَصَائِبَا[2]

ويقول:

وَبِتُّ عَزَائِي السِّجْنُ فِي مُدْلَهِمَّةٍ يُجَاوِبُنِي فِيهَا ثِقَالُ الْأَدَاهِمِ[3]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٦٠٧، البغر: كثرة الشرب.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦. وانظر ذكر المطمرة، ص ٦٣١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩٧.

ويقول:

وَظَلْتُ أُعَانِي السِّجْنَ فِي قَعْرِ هُـوَّةٍ سَمَـاعِي وَأَلْحَانِي غِنَـاءُ الْأَدَاهِمِ[1]

وكانت القيود المستعملة، حبالاً طويلة (شِكال)، تَشُد ساقَي السجين حتى قدميه شداً قوياً يضر بهما:

يُكَلِّفُنِي جَـرْيَ الْجَـوَادِ وَقَـدْ لَـوَى شِكَـالاً عَلَى سَـاقَيَّ خَلْفَ شِكَـالِ
وَقَـدْ مَصَّ مُـخَّ الْعَـظْمِ حَتَّى إِزَارَهُ وَبَـدَّلَـهُ مِـنْ نِـيِّـهِ بِـهُـزَالِ[2]

مصـادرة الأمـوال:

ونتيجة للفساد السياسي والاجتماعي في الإمارة العيونية، كانت هناك تَعَـدِّيات على الممتلكـات الشخصية، ممـا يؤدي إلى الضيق والمطاردة. فهناك مثلاً، مصادرة الأموال، كما قال:

وَلَسْتُ وَإِنْ أَوْدَى الـزَّمَانُ بِثَـرْوَتِي وَزَاحَمَنِي مِنْـهُ بِخَصْمٍ مُمَاحِـكِ[3]

ويقول:

أَمَا اجْتِيحَ مَالِي فِي هَوَاكُمْ وَأُسْهِرَتْ بِـذَا السِّجْنِ عَيْنِي وَالْعُيُـونُ نِيَـامُ[4]

وقد كانت تلك من مظاهر نكبته التي قال عنها:

فَـلاَ يَفْـرَحِ الْخَلْفُ الْهِـدَانُ بِنَكْبَتِي فَمَا نَالَنِي مِنْ صَرْفِهَا فَهْـوَ نَائِلُـه[5]

وفي هـذا البيت الأخير إشعـار بأن الـظلم وممارستـه، هما أمـران سيطالان الجميع.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٥٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧١. النِّيّ: السِّمَن.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٤. المماحك: اللجوج.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

المطاردة والتهجير:

كان لسوء الأوضاع الاجتماعية، وتردي المستوى الأخلاقي للحكام والبطانة المحيطة بهم، أن ضاقت سبل العيش على السكان، فابتدأوا يشعرون بمضايقات شديدة أثقلت كواهلهم، مما دفع ببعضهم إلى مغادرة أوطانهم والرحيل عنها إلى أماكن أخرى بعيدة عن سطوة هؤلاء. ولعل حالة الشاعر نفسه تعد نموذجاً لذلك التشرد الذي حل بأولئك. يقول في إخراج أهله إلى البادية بعد نكبته:

وَسَلْبِ الْحِسَانِ الْمُكْرَمَاتِ تَهَاوُناً بِهِنَّ وَدَمْعُ الأَعْيُنِ النُّجْلِ كَالْوَبْلِ
وَمَا كَانَ مِنْ إِخْرَاجِهِنَّ صَوَارِخاً مِنَ الضَّيْمِ بَعْدَ الْقِصَارَةِ وَالشَّكْلِ
وَسُكْنَى الْبَوَادِي دَارُهُنَّ وَإِنَّهَا لَدَارُ امْرِىءٍ لاَ بِالْحَصُورِ وَلاَ الْخَطْلِ[1]

أما عن تشريد بقية الشعب، فيقول:

وَمَالِي أَرَى السَّادَاتِ إِمَّا مُشَرَّداً بِأَرْضِ الأَعَادِي أَوْ مَضِيماً مُكَبَّلاَ[2]

الرشوة:

عندما يصل المجتمع إلى مثل تلك الأحوال، فينعدم الأمن وتُنْتَزَع من الناس الثقةُ بحُكامها، يتجرأ الناس على حقوق الآخرين بطرق القوة المعلنة، أو بالطرق الملتوية، وهذا ما جرى في تلك الفترة، يقول:

أَلاَ قُلْ لِمَنْ أَرْهَقَتْهُ الذُّنُوبُ وَخَافَ مِنَ الدَّهْرِ خَطْباً جَسِيمَا

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٣٢١. النجل: الواسعة. الوبل: المطر الغزير. الضيم: الظلم. القصارة: الحفظ، أي إنهن مكفيات أمورهن فلا يخرجن. الشكل: الغنج والدلال. الحصور: الضيق الصدر. الخطل: الخفة والاضطراب.
وقوله: «وسلبِ...»: معطوف على مجرور سابق.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٩. المضيم: المظلوم. مكبل: مقيد.

عَلَيْكَ الْهَدِيَّةَ إِنِّي رَأَيْـ ... ـتُ لَها عِنْدَنَا الْيَوْمَ شَأْناً عَظِيمَا
تُجِيرُ لِذِي الْحُمقِ أَنَّى أَرَا ... د حَمْقَاتِهِ وَتُعِزُّ اللَّئِيمَا
وَتُبْرِي السَّخَائِمَ حَتَّى تُرِيـ ... ـكَ أَعْدَى عَدُوٍّ وَلِيًّا حَمِيمَا
وَأَيْسَرُ شَيْءٍ يَحُلُّ الْعُقُو ... د وَيُصْبِحُ مُهْدِيهِ مُوسَى الْكَلِيمَا
فَبِالشَّاةِ يَصْفَحُ زَيْدٌ أَخَا ... هُ فِي مِصْرِنَا وَيُفَرِّي الْأَدِيمَا
وَيُضْحِي الَّذِي أَنْفُهُ فِي التُّخُو ... مِ يُطَاوِلُ مَنْ يَتَمَطَّى النُّجُومَا
فَكَمْ مِنْ بُطَيْطِيخَةٍ بَرَّدَتْ ... لَوَافِحَ مِنْ قَبْلُ كَانَتْ سُمُومَا
وَكَمْ حُلَّةٍ عَمَّرَتْ مَنْزِلاً ... وَأَبْقَتْ مَنَازِلَ قَوْمٍ رُسُومَا
فَلَا تَحْقِرَنَّ قَلِيلَ الرُّشَا ... فَرِيحُ الدَّوَاءِ تُحِيطُ الْكُلُومَا[1]

أما فيما يخص عامة الناس، فإن المرحلة التي مرت فيها الإمارة العيونية بانتكاسات سياسية واجتماعية، أجبرت كثيراً من أهالي البحرين على مغادرتها، وطلب العيش في مناطق بعيدة عن متناوَل أولئك الحكام وأعوانهم، يقول بعد أن أمَّل خيراً في حكم أبي سنان مسعود بن محمد:

وابْعَثْ إِلَى الْمُدْنِ بِالْبُشْرَى مُخَبِّرَةً ... بِمُلْكَ أَرْوَعَ لَا عِيٍّ وَلَا وَكِلِ
كَيْمَا تَعُودَ إِلَى الْأَوْطَانِ آيِبَةً ... قَوْمٌ رَأَوْا قَبْلُ فِيهَا خَيْبَةَ الْأَمَلِ
جَلَاهُمُ الضَّيْمُ عَنْهَا فَاغْتَدَوْا هَرَباً ... مِنْ غَيْرِ مَا بَغْضَةٍ مِنْهُمْ وَلَا مَلَلِ
فِي أَرْضِ فَارِسَ لَا يُحْصَى عَدِيدُهُمُ ... وَفِي الْعِرَاقَيْنِ مِلْءُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
مُذَبْذَبِينَ عَنِ الْأَوْطَانِ كُلُّهُمُ ... مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ وَالتَّذْكَارِ فِي شُغُلِ[2]

فأولئك الناس، الذين تركوا أوطانهم من غير بغضة ولا ملل، جلوا

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩. تفري: تمزق. الأديم: الجلد. التخوم: الحدود. بطيطيخة: تصغير بطيخة. رسوم: آثار دارسة. الرشا: جمع رشوة. الكلوم: الجراح.

(٢) المصدر نفسه، ص. ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥. عيي: العي، الذي لا يفصح في منطقه. الوكل: البلد الجبان.

عنها، والواقع نفسه يعني الإخراج بالقهر والقوة، وهو ما بيَّنه حين نسب الفعل إلى «الضيم»، ليجعل التعبير أشد وأنكى، وتصور الأبيات أدق تصوير، كيف ترك أولئك أوطانهم هاربين هائمين على وجوههم: «اغتدوا هرباً»، وهم من الكثرة بحيث ملأوا السهول والجبال، ولا يحصى عديدهم، ومع ذلك فهم دائموا الحنين إلى الأوطان.

اليأس من محاولة الأصلاح:

ومن المؤكد أنه لا أمل يُرجى من مجتمع كهذا، وصل إلى أقصى درجات الرذيلة، وهبط إلى أدنى مستوى أخلاقي، فهو مجتمع فَقَدَ، حسبما وصفه ابن مقرب، أَمَسَّ المقوماتِ الأساسيةَ للبناء الاجتماعي والتقويم السلوكي، ولذلك فموقفه منه:

لٰكِنَّنِي نَادَيْتُ مَوْتَى لَمْ تَزَلْ أَشْبَاحُهُمْ تَمْشِي مَعَ ٱلْأَحْيَاءِ[1]

أو قوله:

أَعْرَبْتَ حِينَ دَعَوْتَ إلاّ أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ ٱلْأَمْوَاتَ صَوْتُ دُعَاتِهَا[2]

إنهم أموات لا خير يرجى منهم، ولا جدوى من وراء تحريكهم، ويشتد به الأسى إلى أن يخاطب نفسه قائلاً:

هَوِّنْ فَقَوْمُكَ يَا عَلِيُّ حَيَاتُهَا كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا[3]

لقد تزعزت ثقته بقومه، وأصبح قانطاً من عودتهم إلى ماضيهم المجيد، ولم يكن ذلك القنوط والشعور بالخيبة والأسى وليد لحظة أو مفاجأة، بل جاء بعد صيحات متكررة لجمع الشمل وعلاج التفكك:

كَمْ قَدْ غَدَوْتُ وَرُحْتُ غَيْرَ مُقَصِّرٍ فِي لَمِّ فُرْقَتِهَا وَجَمْعِ شَتَاتِهَا[4]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ١٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

وفي صيحة يائسة:

كَمْ لُمْتُ قَـوْمِيَ لاَ بَلْ كَمْ أَمَـرْتُهُمُ بِحَسْمِ دَاءِ العِدَا فِيهِمْ فَلَمْ أُطَعِ[1]

توقع سقوط الإمارة:

ولا بدّ أن حالة مثل هذه، في إمارة استوطنت فيها الأمراض الاجتماعية، حتى غدت تنخر في أجسادها، أن تكون نتيجتها الحتمية هي السقوط والانهيار، وهذا هو ما أدركه الشاعر وناضل كي لا يقع:

وَكَمْ مِنْ هُمَامٍ ضَيَّعَ الْحَزْمَ فَالْتَقَتْ عَلَيْهِ عِدَاهُ بِالرَّدَى وَدَخَائِلُهْ[2]

فالظاهرة العامة في الحكم العيوني أيام ابن مقرب، هي التردي والانشغال بأمور لا تهم الإمارة وكيانها، ولذلك يقرر ما هو أشد ألماً، إنه:

فَإِنِّي كَفِيلٌ بِالْخَرَابِ لِبَلْدَةٍ يُرَاعَى بِهَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ أَرَاذِلُهْ[3]

ولا بدّ حين تنقلب القوانين فتصبح العصافير تصيد البزاة، والمجالس للسوقة وأهل السوء، وسياسة الإمارة واقتصادها بأيدي العابثين والطامعين، أن تكون العاقبة هي الخراب والفناء.

ولهذا راح يصدر دعوة مخنوقة بالتألم وحس الفاجعة لما ينتظر سكان هذه الإمارة، فيناديهم منبهاً إلى ما يحدق بهم من أخطار تنذر بزوالهم:

يَا سَكِنِي الْخَطَّ وَالأَجْزَاعِ مِنْ هَجَرٍ هَلِ انْتِظَارُكُمُ شَيْئاً سِوَى الْعَطَبِ[4]

ثم يحدد نهاية تلك الإمارة المتهاوية، فيقول:

وَأَقْمَنُ شَيْءٍ بِالْهَلاَكِ مَدِينَةٌ تُرِيكَ نَبِيهَ الْقَدْرِ مِنْ كَانَ أَخْمَلاَ[5]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص ٢٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ٧٥.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٧٠، أقمن: وأجدر وأحق.

ومن الغريب بعد ذلك أن توجد مثل تلك الصور، التي لها حظ من الواقع كبير، في مجتمع قبلي متمسك بالأعراف القبلية ويمكن أن نرى فيها تأثر المجتمع القبلي بسلوكيات المجتمع الحضري الذي بدأوا ينخرطون فيه بسرعة، كما يمكن أن نرى فيه أيضاً عوامل القضاء على تكوينهم المتماسك عند نشأته. وفي صورة لا يمكن أن يتوقعها المرء إلا من مجتمع ذي استقرار وانفتاح على الحضارات، ومن مجتمع يرضى بالاستسلام والانقياد لقاء محافظته على بقائه، يصور ابن مقرب مجتمعه وكيف أصبحت أمور الإمارة فيه بيد المستهترين والعابثين والضعفاء، وكيف انشغل أهل ذلك المجتمع بالملذات والسهرات غافلين سادرين عما يهدد حياتهم أجمعين، فيقول:

وَأَهْجُرُ داراً لَوْ يَحِلُّ ابْنُ قَاهِثٍ ... بِهَا رَاحَ مَسْخُوتاً مِنَ الْمَالِ مُجْحِدَا
يُدَبِّرُهَا أَوْبَاشُ قَوْمٍ تَنَكَّبُوا ... عَنِ الرُّشْدِ حَتَّى خِلْتُ ذَا الْغَيِّ أَرْشَدَا
إِذَا رَضِيَ الْأَعْدَاءُ مِنْهُمْ مَهَانَةً ... بِأَخْذِ الْجِزَى عَدُّوهُ نَصْراً مُؤَيَّدَا
أَقَامُوا الْأَغَانِي بِالْمَغَانِي وَضَيَّعُوا ... كِرَامَ الْمَسَاعِي وَالثَّنَاءَ الْمُخَلَّدَا
فَلَوْ أُحْسِنُ التَّصْفِيقَ وَالرَّقْصَ فِيهِمُ ... وَرَفْعَ الْمَثَانِي وَالْغِنَاءَ الْمُهَوَّدَا
لَعِشْتُ عَزِيزاً فِيهِمُ وَلَمَا اجْتَرَا ... يَمُدَّ إِلَيَّ الضَّيْمَ بَاعاً وَلَا يَدَا
وَلَا رَاحَ شُرْبُ الْمُقْرِفِينَ ذَوِي الْخَنَا ... بِهَا نَهَلا عَبَّا وَشُرْبِي مُصَرَّدَا
وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ اتَّخَذْتُ رَذِيَّةً ... أُوَيْطِفَ رَغَّاءً لَدَى الشَّدِّ أَكْبَدَا
وَصَاحَبْتُ مِنْ أَدْنَى الْبَوَادِي مُكَشَّماً ... ضَعِيفَ الْأَيَادِي قَاصِرَ الْجَاهِ مُسْنَدَا
لَكَانَتْ سَنِيَّاتُ الْجَوَائِزِ تَرْتَمِي ... إِلَى حَيْثُ أَهْوَى بَادِيَاتٍ وَعُوَّدَا[1]

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ١٥٧ ـ ١٥٨، المسحوت: المال الذاهب. المجحد: الذاهب.

الأوباش: الأخلاط والسفلة. تنكب عن الرشد: عدل عنه. الجزى: جمع الجزية.

التهويد: الترجيع بالصوت في لين وتطريب. القرف: المتهم بشيء. =

وفي هذه الأبيات يجتمع اللهو والفساد مع تضييع أموال الإمارة حتى إن قارون (ابن قاهت) الذي يضرب به المثل في جمع المال، يغدو معدماً لكثرة إنفاقه، أما فئات المجتمع المتسلطة، فهي فئتان: فئة الوصوليين والانتهازيين الذين لم يحظوا بالهداية والرشاد، وهم السوقة والجهلة ممن انغمس في شهواته وملذاته بين طرب وفساد، وفئة البدو الذين فرضوا هيمنتهم على السلطات الحاكمة، فأصبحت الأموال تغدق عليهم والخيرات يؤتى لهم بها.

وهكذا نجده في أخريات حياته سنة ٦٢٠ هـ، يصدر صرخات موجعة قاسية تبين عن إخفاق كبير في رأب الصدع ولَمِّ الشعث ومدارة التصدع. إنه يائس أشد الياس من محاولة الإصلاح، شاعر بالخيبة تمزق أحشاءه وهو يرى الإمارة التي طالما تَغَنَّى بأمجادها وأمجاد أهلها تتهاوى عروشها أمام ناظريه، وذلك بعد أن أخذت عوامل الفساد والانحلال التي ذكرناها سابقاً تدق بمعاولها الثقيلة على كاهل حكامها، فيتساقطون الواحد تلو الآخر، وتبقى في نفسه حشرجة الألم وغصة الهزيمة، فيقول في أبيات تنقل لنا كل تلك الأحاسيس التي ذكرناها، ضارباً الأمثلة والعبر بالأمم التي مضت، فلم يغنها جبروتها وعزها شيئاً حيث زالت، ومع لك فهو على وعي بأن هذا الكيان المتهالك الصغير لا يقاس بتلك الكيانات وأبنيتها العظام، فيقول:

تَـظُنُّونَهَـا أَهْـرَامَ مِصْـرَ وَإِنَّهَـا لَأَوْهَى بِنَاءً مِنْ بُيُوتِ الْعَنَاكِبِ[1]

= الخنا: الفسوق. النهل: أول الشرب. العب: الكرع والجرع من الشراب. التصريد: السقي دون الرِّي. الرذية: الناقة المهزولة. الوطف: كثرة شعر الحاجبين والعينين. رغاء: تكثر الرغاء وقت العمل كناية عن ضعفها. الأكبد: من نهض موضع كبده. المكشم: الناقص الحسب والخُلْق. المسند: من نسب إلى قومه وليس منهم. ومن الملاحظ أن هذه الصور ما زالت قاصرة على الأحساء.

(١)المصدر نفسه، ص ٧١.

ويقول:

أَلْقَـوْمُ تَـأْكُلُكُمْ وَيـأْكُـلُ بَعْضَكُمْ بَـعْضـاً كَـأَنَّكُمُ مِـنَ الْحِيتَـانِ
مَنْ عَـزَّ مِنْكُمْ كَـانَ أَكْبَـرُ هَمِّـهِ شَقَّ الْعَصَـا وَتَـذَكُّـرَ الْأَضْغَـانِ

ثم يقول:

إِكْـرَامُكُمْ لِـمُهِينِكُمْ وَهَـوَانُكُمْ لِـمُعِـزِّكُـمْ فِي الـسِّـرِّ وَالْإِعْـلَانِ
لَـمْ يَـغْـضَـبِ الْـبَـدَوِيُّ إِلَّا قُـلْتُـمُ سُـدُّوهُ كَيْ يَـرْضَى بِمَـالِ فُـلَانِ
وَالسَّـدُّ أَخْـرَبَ مَـأْرِبـاً فَتَيَقَّنُـوا بَعْـدَ انْفِتَـاحِ السَّدِّ بِـالـطُّوفَـانِ[1]

ومن صرخاته المتتالية الحانقة الساخطة قوله:

وَاحَسْـرَتَـا لَتَقَضِّي الْعُمْـرَ فِي بَلَدٍ الشُّؤمُ فِي أَهْلِهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ[2]

ومثل ذلك نجده في قصيدته التي يقول فيها:

وَكَمْ أَنْدُبُ الْمَوْتَى وَأَسْتَرْشِحُ الصَّفَا وَأَسْتَنْهِضُ الزَّمْنَى وَأَعْتَانُ بِالرُّمْدِ[3]

ولكن صيحاته تلك، وتعرياته لذلك المجتمع، ما كانت لتجدي، وقد فقد الحكام أهم موقمات تكوينهم، فسياسياً أصبحوا تحت رحمة بني عامر، والضغط الفارسي، والانقسام إلى تكوينات هشة صغيرة، واجتماعياً انساق الناس وراء ملذاتهم وشهواتهم، فتكونت طبقتان: طبقة علياً لا تهتم إلا بمصالحها الخاصة وشؤونها العامة، وطبقة مُعْدَمة يوقع عليها أشد ألوان العذاب والاضطهاد. وإضافة إلى ذلك، فقد فَقَد الحاكم العصبية القبيلية

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٦٣٣ - ٦٣٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٤.
اعتان: استدل. وقطع همزة الوصل في «استرشح»، و«استنهض» لضرورة الوزن.

التي كانت وراء دعمهم في بداية حكمهم، حتى إنه ليقول بعد أن غادر علي بن ماجد الأحساء:

أَرِجَالَ عَبْدِ الْقَيْسِ كَمْ أَدْعُوكُمُ ... فِي كُلِّ حِينٍ لِلْعُلاَ وَأَوَانِ
فَتَرَاكُمُ مَوْتَى فَأَسْكُتُ أَمْ تُرَى ... خُلِقَتْ رُؤُوسُكُمُ بِلاَ آذَانِ

ثم يقول:

كَمْ ذَا تُسَامُونَ الْهَوَانَ وَأَنْتُمُ ... خُضْعُ الرِّقَابِ تَطَامُنَ الْخِصْيَانِ
تَعْساً عَبِيدَ الظَّالِمِينَ وَلاَ لَعاً ... لَكُمُ فَلَيْسَ هِجَانُكُمْ بِهِجَانِ
أَصْبَحْتُمُ غَرَضاً تَنَاضَلَهُ الْعِدَى ... بِمُذَرَّبَاتِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
مُتَهَدِّفِينَ لِكُلِّ رَامٍ بِالْأَذَى ... يَرْمِيكُمُ كَتَهَدُّفِ الْحِيطَانِ
مَا مِنْكُمُ شَخْصٌ يَرُوعُ وَإِنَّهُ ... لَيَرَى سِهَامَ الْمَوْتِ رَأْيَ عَيَانِ[1]

وفي قصيدته التي وجهها لأبي القاسم مسعود بن محمد:

بَعْضُ الَّذِي نَالَنَا يَا دَهْرُ يَكْفِينَا ... فَامْنُنْ بِبُقْيَا وَأَوْدِعْهَا يَداً فِينَا[2]

تفصيل شامل ودقيق لتلك الأوضاع المنهارة.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص. ص ٦٣٢ - ٦٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦١١ - ٦١٧.